الصبار لا يعط ظلا

مجدي حشمت سعيد



الصبار لا يعطي ظلا

مجدي حشمت سعيد

الطبعة الأولى (يناير ٢٠١٧)

تصميم الغلاف: كلوديا كامل

المراجعة اللغوية: محمد عبد المطلب / علاء عبد السميع

التنسيق الداخلي: إسلام علي

مدير النشر: هند عبد الله (نور مانجا)

إشراف عام: رباب الشهاوي

رقم الإيداع: **2016/26561**

الترقيم الدولي: **978-977-6534-24-7**

دار الفؤاد للنشر والتوزيع

Alfouad_publishing@hotmail.com

facebook.com/fouadpublishing

الصبار لا يعطي ظلًا

(مجموعة قصصية)

مجدي حشمت سعيد





♥ إهداء ♥

إلى كل من عَلَّمني الحرف

إلى كل من عَلَّمني الحب

إلى كل من عَلَّمني العطاء

مجدي حشمت سعيد



قصص قصيرة

العَدْو خَلْفًا

ترك الأهل للعريس والعروس اللذين رأيا بعضهما للمرة الأولى فرصة الجلوس مع بعضهما منفردين قبل أن يعطيا قرارهما بالموافقة على قبول كل منهما للآخر، لم يحسَّا بخجل اللحظة أو يصيبهما الارتباك.

بادر العريس بسؤال العروس وهو يغرس عينيه في عينيها بجرأة:

ـ ما رأيك فيما يفعلونه بنا؟

أجابت وهي تنظر في عينيه بجرأة أكثر:

ـ ما رأيك أنت؟

ردَّ دون تفكير:

ـ هذا تخلُّف.

أضافت بحدة:

ـ هذا قمة التَّخلُّف.

سألها سريعًا:

ـ ولماذا توافقين على هذا التَّخلُّف؟

ردَّت بضيق وهي تهزّ رأسها:

ـ حتى أرضيهم.

عادت إلى سؤاله بسخرية وكأنها تذكَّرت شيئًا هامًا:

ـ ولماذا وافقت أنت على الحضور لطلب يدي بهذه الطريقة المُتَخَلَّفة؟!

أجاب وهو يتنهد:

ـ حتى أرضيهم أيضًا.

سكتا برهة ثم نطقا معًا في لحظة واحدة بحيرة وضيق:

ـ كيف سنخرج من هذه الورطة؟

سادت فترة صمت طويلة استمر خلالها تشابك العيون الجريئة المستكشـفة للأعـماق، هبّـا فجـأة عـلى صـوت نقـاش أهلهـما الحـاد المرتفـع؛ توجهـا إلى الرّدهة، مات الضجيج عند ظهورهما، أطـرق الجميـع وسـاد الوجـوم، نهـض أهل العريس الغاضبين بتثاقل متـوجهين نحـو البـاب دون أن ينبسـوا ببنـت شفة، سار العريس خلف أهله مُجـبراً وقـد أخذتـه الصـدمة، تعلقـت عينـاه بعينيها وهو يسير بظهره في نظرة طويلة مغايرة صاحبتها نبضات جديدة.

حرقة الشوق

ليل الشتاء طويل وليل الوحيد أطول، يعانده النوم ويأبى أن يعانق جفنيه، تقلَّب على جانبيه ثم نام على بطنه وعاد فاستقرَّ على ظهره من جديد، تعلقت عيناه بسقف الحجرة تكوِّنان أشكالًا من الظلال التي تصنعها الأضواء البعيدة الخافتة المنعكسة عليه.

ها هي صورتها تأتي زاحفة من الركن البعيد لتتوسط المشهد وتكبر شيئًا فشيئًا حتى تبتلع ما عداها من الصور محتلة سقف الحجرة بأكمله فتتسارع دقات قلبه الذي يغالبه الحنين إليها، راعه أن يراها دون بسمتها المعهودة التي تشرق دومًا على ملامح وجهها، تساءل: تُرى ماذا بكِ؟!

تذكَّر لقاءهما الأخير قبل الرحيل حين همس لها وهو يمسك دموعًا تكاد تغلبه ويداري أنات قلب يمزقه ألم فراق لامحدود:

ـ في بعادكِ أخشى شيئًا واحدًا.

همست بدلال وابتسامتها تتوسد وجهها:

ـ شيء واحد فقط؟!

أجاب وهو يتنهد من أعماقه:

ـ أخشى حرقة الشوق.

سألت بمكر الواثق:

ـ هل ستحزن لفراقي؟

صمت رافضًا الإجابة عليها فأحست بأنها طعنته فاسترسلت قائلة:

ـ معك ذكراي والذكرى تطبب الحزين.

دقق النظر في صورتها على السقف فوجد الحزن يشع من عينيها ويكسو وجهها فهمس وهو يطلق تنهيدة حارة ودموعًا أحر:

ـ تُرى ماذا بكِ؟! هل أدركتِ الآن معنى كلماتي؟ هل شعرتِ بحرقة الشوق حبيبتي؟ هل أحسستِ بطعن السكين؟ أحمتك الذكرى أم زادت من الأنين؟

أيقظه فجأة من غيبوبة شجونه صوت رنين هاتفه المحمول معلنًا عن ورود رسالة، أمسكه متبرمًا من إزعاجه في هذه الساعة المتأخرة من الليل فإذ برسالة منها تقول:

ـ أرى الآن صورتك على السقف وأنت تضحك... تُرى ماذا بك؟!

المبروكة

كان أبي رحمه الله يوصينا دائمًا بها مُذَكِرًا إيانا بأنها سبب البركة في أرضنا ولعائلتنا، تتوسط أرض حديقتنا تمامًا، تقف في مواجهة دارنا شامخة وارفة الظلال، فريدة في نوعها فلم نر مثيلًا لها.

أوراقها كبيرة سميكة غضة طيبة الرائحة مثل أزهارها الحمراء وثمارها الصغيرة الكروية الضاربة في الاحمرار، كانت ثمارهًا شديدة الحلاوة تغني الواحدة منها عن وجبة طعام كاملة، كنا لا نعرف لها نوعًا أو اسمًا سوى(المبروكة)، كان لأوراقها شهرة كبيرة في الناحية والنواحي المجاورة لمقدرتها على شفاء العديد من الأمراض فاعتدنا أن يقصدنا أهلها طلبًا لبعضها، لها سحرها الخاص القادر على جذب أفراد العائلة فتضمهم تحت ظلِّها نهارًا وليستمتعوا بشذاها وعبقها عند سمرهم ليلًا.

لعب إبليس لعبته المعهودة فطلب أخوتي نصيبهم من الميراث وعند تقسيم التركة تنازعوا على (المبروكة) فأشار حكيم القرية إلى وضعها هي والدار ضمن نصيب أمنا حتي يستمر الدور المقدس للأم والشجرة في حياة العائلة، صحونا في إحدى الليالي التي غاب فيها القمر على صوت أنين مدوَّي يحطم سكون الليل، هرعنا جميعًا إلى مصدر الأنين فاكتشفنا أنه صادر عن (المبروكة) وإذ بأخينا الأصغر الذي لم يقنع بنصيبه من الميراث قد تسلَّل حاملًا فأسه ويقوم بإسقاطها وما أن وصلنا إليه حتى تهاوت (المبروكة) أرضًا نازفة عَرَقًا و دمًا غزيرًا وجفَّت في لحظتها ومعها أمنا.

الوجه الآخر للقمر

منتصف الليل...البرد قارس...وبقية من ماء المطر تغطي ارض رصيف المحطة عاكسة الأنوار المتناثرة هنا وهناك، في جانب بعيد جلس (صلاح) ضامًا ذراعيه فوق صدره متطلعًا إلى الصورة المنعكسة على أرض رصيف المحطة المبتل والتي بدت كأنها النجوم المبعثرة في السماء، ما أحوجها إلى قمر يكمل الصورة.

ينظر أحيانًا إلى ساعته دون أن يفك ذراعيه المتعانقين خشية تسرب الدفء من بينهما، كم يمل الانتظار...لكن الواجب يحتم عليه الصبر، انزلقت عيناه ثانية على صفحة المياه، رأى صورة تتأرجح مع حركة المياه، إنها لفتاة تجلس في الجانب المواجه المضيء من المحطة، ها هو القمر قد هلَّ. فاجأه صديقه قاطعًا تأمله فاتحًا عينيه المثقلتين بالنعاس قائلًا له:

ـ (صلاح) ...اشتدَّت برودة الجو ...تفضل أنت بالرجوع إلى منزلك.

أجابه بلهجة المُصِرِّ:

ـ لا داعي لهذا الكلام ...سأبقى حتى يصل قطارك.

صمت الاثنان؛ خشي كل منهما أن يفتح فمه ثانية حتى لا ينفذ إلى جوفه تيار الهواء البارد. يمر الوقت بطيئًا متثاقلًا والبرودة تزداد حِدَّةً. عاد (صلاح) إلى الصورة يقطع بها ملل الوقت، عرف طريقه إليه...إلى القمر، استغرقه التأمل ونسي كل ما حوله، أدهشه سكونه الطويل، لم يعد يقنع بالصورة، سيطرت عليه رغبة قوية لرؤية الاصل، رفع عينيه مباشرة إلى مكانها؛ وجدها هناك... فتاة جميلة وحيدة تنطلق نظراتها

شاردة بعيدًا تحملق في لا شيء. لم تنزل عيناه عنها، وجدها تتلفت حولها كثيراَ، اصطدمت عيناها فجأة بعينيه فسقطتا سريعًا إلى الأرض، رفعتهما بعد برهة فوجدته يسدد إليها سيلًا جارفًا من نظرات طويلة أدهشتها؛ سره أن تنبهت له، خرجت أخيراَ من جمودها وشرودها، أحسّها وقد تبسمت له بعينيها دون شفتيها فتبسم لها بكل وجهه، نسى برودة الجو وملل الانتظار.

الليل يمضي ...وسكونه المتزايد يغري الجالسين -عداهما-بعناق الجفون فوق المآقي؛ أربع عيون ساهرات اتصل بينها التيار وانطلق المدُّ والجذر في موجات رقيقة منها وكأنها ألفت الشاطئ وأخرى مضطربة منه تملؤها الدهشة.

قدم القطار ليبث روح الحياة في المحطة النائمة، وجد (صلاح) الفتاة تتطلع إليه ثم تنهض من مقعدها وتجمع حول جسدها الممشوق أطراف معطفها، تلقي إليه نظرة طويلة، تقدمت بضع خطوات نحو القطار وابتلعها الزحام، تبادل وصديقه القبلات وصعد الأخير إلى القطار. تحرك القطار وسحب معه الضجيج وانشغاله بها، عاد الصمت إلى المحطة وإلى فكره، مضى يجر قدمين مثقلتين بالتعب وقد جمدهما البرد، وجدها فجأة في مواجهته على الرصيف المبتل تبتسم له ابتسامة ذات معنى؛ أسرع يعدو بعيدًا فراحت تحكم أطراف معطفها حول جسدها محاولة اللحاق به.

الباب

ـ هل تعرفني؟! يذهب، لا لن يذهب، بل لابد أن يذهب. ومن جديد احتدم الصراع داخله بضراوة، عبثًا يحاول أن يجمع شتات فكره ليركزه بين ضفتي الكتاب المفتوح أمامه متلقيًا صفعات الهواء بجلد.

تتلاعب به الأفكار فيما بينها ككرة من الأحاسيس، تتلقاه إحداها بدفء لتصده الأخرى بأسنة الرماح، أغمض عينيه ونفض رأسه يمنة ويسرة محاولًا نبذ شائك فكره.

لم يستطع الصمود فقررَّ أخيراَ الذهاب إليها... إلى جارته الفاتنة في الشقة المجاورة ليلبي دعوتها المفضوحة له حين قابلته في الطُّرقة الفاصلة بين شقتيهما هامسة له وهي تغمز له بعينها اليسرى: أريدك الليلة لأمر هام ... أنا في حاجة شديدة إليك.

فتح باب شقته، أطلَّ برأسه خارج الباب بحواس مشدودة وجسد ينتفض، مسحت عينا اللص فيه الطُّريق إلى شقتها، اطمأن إلى خلو المكان، هرول سريعًا إلى بابها، دقَّ على الباب برفق فلم يجبه أحد، دفع الباب ففُتِحَ له بسهولة، تسلل إلى الداخل سريعا، هَدَّأت الإضاءة الخافتة من أنفاسه المتسارعة، همس مناديًا عليها فلم ترد، كمأخوذ مضى إلى حجرة نومها مُمَنيَا نفسه بالكثير، هاله خلو الحجرة، بحث عنها في أرجاء الشقة فصُدِمَ لعدم وجودها، عاد مُحطم الآمال، ارتعش اللص فيه حين رفض باب شقته أن يُفتَحَ له.

بَشَرٌ

يسير في طريقه مهرولًا حاملًا فوق كاهله هموم الدنيا كلها، اعترضه فجأة رجل وقور، صافحه بحرارة أدهشته فسأله متوجسًا: هل تعرفنى؟

أجابه بهدوء:

ـ وهل من المُحَتَّمِ أن أعرفك.

زادت دهشته واستطرد:

ـ ولكن أنا لا أعرفك.

ردَّ عليه ببرود:

ـ لا يهم ... أنا أخوك في الإنسانية.

أدهشته إجابته فسأله بسخرية:

ـ وماذا تريد يا أخي في الإنسانية؟!

ـ أريدك أنت.

عاد يسأله بغيظ:

ـ ألم تلاحظ أني في عجلة من أمري؟!

ـ الدنيا لا تستحق.

كاد ان ينفد صبره، تماسك وقال له وسط ابتسامة مصطنعة:

ـ أرجوك أن تُعَجِلَ... ماذا تريد؟!

فقد الآخر وقاره وهدوءه وصاح في وجهه:

ـ أريد أن أذبحك... أنت نصيبي في الذبح.

صدمته إجابته؛ نظر إليه بريبة وراح يعدو سريعًا والآخر يحاول اللحاق به.

مناسبة غير عادية

انتفض (أبو أحمد) المزارع المُسن مطوِّحًا ذراعه في الهواء صائحًا:

ـ لن ننفذ قرار الحكومة!

ابتسم (الحاج محمود) كبير العائلة والاجتماع قائلًا بهدوئه ورزانته المعهودة مسيطرًا على الموقف:

ـ قرار الحكومة ليس لعائلتنا فقط بل للبلدة بأكملها وهو لصالح الجميع.

ساد الصمت أرجاء دار المناسبات الخاص بالعائلة الذي فُتِحَ اليوم لمناسبة غير عادية، تجمّع رجال العائلة بمختلف أعمارهم بناء على دعوة كبير العائلة لمناقشة قرار الحكومة بنقل مقابر البلدة التي أحاطت بها الكتل الخرسانية التي تأكل الأرض الزراعية بشراهة فأصبحت في وسط المساكن بعد أن كانت خارج البلدة.

قطع الصمت (متولي) تاجر المواشي السمين مصدرًا صوتا عميقًا أقرب إلى الفحيح:

ـ يقولون إنهم قد اكتشفوا معبدًا فرعونيًا أسفل المقابر.

ردَّ عليه (حميد) البقَّال معقبًا:

ـ لا ... بل تريد الحكومة بناء مدرسة ومستشفى ومساكن شعبية بدلًا منها.

تدخل (الأستاذ إبراهيم) معلم المرحلة الإعدادية الشاب مدليًا بدلوه في الحديث:

يا حضرات مستوي الماء الأرضي ارتفع جدًا في أرض المقابر ولن تصبح صالحة لدفن الموتى.

عَقَّبَ (ربيع) المزارع أحد الكبار الثائرين يشاركه ذراعاه أيضًا في حماسته:

ـ مهما كان السبب فلن نفرط في مقابرنا فهي ملكنا منذ الجدود وبها عظام آبائنا وأجدادنا.

ردَّ عليه (الحاج محمود) بنفس هدوئه:

ـ ستعطينا الحكومة أرضًا بديلة عنها في الصحراء المجاورة لنُبني فيها المقابر الجديدة وسوف تمهلنا عامًا لذلك سنستمر خلاله في دفن موتانا في المقابر القديمة ثم نبدأ بعده الدفن في المقابر الجديدة وستغلق الحكومة المقابر القديمة خمس سنوات ثم تفكر بعدها في استغلال أرضها بعد أن نكون قد نقلنا عظام أجدادنا منها.

هنا حدث هرج ومرج وتعالت هتافات الحاضرين من الشباب المؤيدين متداخلة مع اعتراضات الشيوخ الرافضين وهم يصيحون:

ـ لا ... لا ... لن نقلقل عظام آبائنا وأجدادنا.

تدخَّل (الحاج محمود) ثانية ولكن بلهجة أشد صرامة:

ـ لا... لن نقلقلها ولكن سننقلها بكل كرامة إلى مكان أفضل.

انتفض (عم شاكر) المُسِن النحيف واقفًا مشيراً بسبابته في الهواء وهو يقول:

- أنا لن أدفن إلا في المقبرة القديمة بجوار أبي وأمي.

رد عليه (صبحي الحلاق) بفكاهته المعهودة:

ـ شِّد حيلك يا (عم شاكر) وفارقنا خلال هذه السنة حتى لا يفوتك القطار.

ضّجَّ الحاضرون بالضحك ثم قال (عصام) الطالب الجامعي الوسيم:

- أنا موافق أن أدفن في المدافن الجديدة.

عَقَّبَ (صبحي):

ـ ليس الأمر بيدك يا حبيبي من الممكن أن يكون ترخيصك جاهزًا ولا ينقصه سوى الختم.

انتشرت الضحكات ثانية مما أضطر (الحاج محمود) إلى التدخل مقاطعًا:

ـ المهم أيها الرجال ما رأيكم في تدبير تكاليف بناء المقابر الجديدة؟

ردَّ عليه (الشيخ سلاَّم) مأذون البلدة العجوز:
ـ نجمع أموالًا لذلك ... وليكن على كل ذكر في العائلة ألف جنيه.
سادت الهمهمة الجمع وتداخلت الآراء بين مؤيد ومعارض فأشار (الحاج محمود) بيده فعمَّ الصمت ثانية وقال:
ـ عين العقل ... ولكن ماذا بالنسبة لغير القادرين؟
أجاب (المعلم درويش) رجل الأعمال الثري متوسط العمر الذي حضر من العاصمة خصيصًا لحضور هذا الاجتماع:
ـ أنا سأتولى دفع كل ما هو مستحق على غير القادرين.
ردَّ (صبحي) ضاحكًا:
ـ لا تنس الرخام والكهرباء والأشجار والورود يا معلم (درويش) وأنا عليّ الصبّار.
أجابه (المعلم درويش) وسط ضحكات الحاضرين:
ـ من عيني يا (صبحي) بشرط أن تكون أول سكان المكان الجديد.
تقدم فجأة (علي) المتشدَّد من ركنه المنزوي مندفعًا إلى الأمام كمن فاق توًا من سبات عميق متذكرًا أمرًا خطيرًا قائلًا:
ـ افعلوا كل ما تريدونه لكن المهم ألا تُدفن (شربات) أرملة (جاد) التي تركت البلدة هي وبناتها لسوء سلوكها في مقبرتنا الجديدة او القديمة.
هَزَّ (الشيخ حسن) رأسه يمينًا ويسارًا مستنكرًا ثم توجه بحديثه إلى علي:
ـ الله غفور سَتَّار ... هذا في علم الغيب يا عم (علي).
انتهز (الحاج محمود) فرصة الهدوء التي خيَّمت على الحاضرين وقال بلهجة سريعة:
ـ متى سنبدأ جمع المساهمات المالية التي سنبني بها المقبرة الجديدة يا رجال ومن سيتولى هذه المهمة؟
أجابوه دون تفكير:

ـ بعد جمع المحصول الصيفي بإذن الله وسيتولى المهمة (الشيخ سلاَّم) مأذون البلدة ويعاونه مجموعة من الرجال يختارهم بنفسه.

اعترض الشباب بشدة وطالبوا أن يتولى ذلك لجنة من شباب العائلة؛ رفض الشيوخ ذلك.

هبّ (أبو أحمد) المزارع المسن ثانية صارخًا بغضب:

ـ لا تأكلنا في الكلام يا (حاج محمود) ... كفاكم ... أية فلوس تجمعونها ونحن لم نوافق بعد على النقل؟

كمن أطلق شرارة في الهشيم انتقلت عدوى الصوت الرافض من (أبي أحمد) إلى رفقائه كبار السن، تعالت الأصوات، تشابكت صيحاتهم مع صيحات الشباب المؤيدين لنقل المقابر، عاد الهرج والمرج يسودان المكان بصورة أشد، ابتلع الضجيج الصوت المرتفع (للحاج محمود) الذي فقد هدوءه تمامًا بعد أن فلت زمام الأمر منه.

خَدُّ البنت

عاد الابن الشاب من العاصمة مبتهجًا، توجه إلى أبيه المُسِنِ قائلًا له وهو يخفي شيئًا وراء ظهره:

- خَمِّنْ يا أبي ماذا أحضرت لك؟

أجاب الأب بوهن:

- المهم أنك عدت بسلامة الله يا ابني.

وضع الابن على المنضدة أمام والده كيسًا شفافًا بداخله أصابع مكتنزة تشبه أصابع الموز بعد تقشيرها، سأله الأب:

- ما هذا يا ابني؟!

اجاب الاين بفرحة مقاتل عاد منتصراَ بغنيمة ثمينة:

- هذا هو ما حكيت لنا عنه كثيراَ.

أمسك الأب الكيس المغلق، تعجب لخفة وزنه، وضع نظارة القراءة على عينيه محاولًا قراءة البطاقة الملتصقة على الكيس الشفاف (حلوى جافة – المكونات ... – تاريخ الإنتاج ... – تاريخ انتهاء الصلاحية ....)، عاد يسأل ابنه متحيراَ:

- ما هذه الحلوى الجافة؟!

هتف الابن وهو يبتسم:

- إنه خد البنت ... خد البنت يا أبي ألا تذكر؟!

دُهِشَ الأب وراح بفرحة طفل يُقَلِّبُ الكيس بين يديه متعجباً وأضاف:

- لكن خد البنت على أيامنا كان أنصاف كرات صغيرة ملتصقة على ورقة زبدة نصف شفافة ولا يوجد عليه ما تسمونه تاريخ الصلاحية.

سأله الابن:

- بكم كنتم تشترونه؟

أجاب الأب بحماس:

ـ كنا نشتري الخمس قطع بتعريفة أي بخمسة مليمات وكانت التعريفة قيمتها نصف قرش وكان الجنيه يساوي مائة قرش ثم مات المليم والتعريفة والقرش ومضاعفاتهم والخوف الآن على الجنيه.

ضحك الابن ثم أخذ الكيس من والده وفتحه مخرجًا أحد الأصابع وقدمه لأبيه قائلًا:

ـ تذوَّق يا أبي ... تذوَّق.

تلقَّفه الأب بلهفة وكسر قطعة منه ووضعها في فمه وهو يهمس:

ـ أولنا صغار وآخرنا صغار.

دُهِشَ الأب حين ذابت القطعة سريعًا في فمه دون أن يحس لها بأي مذاق، تابعها ببقية الإصبع فذابت بدورها ولم تترك أثرًا يُذكر، صاح الأب بغيظ:

ـ لا ... لا ... هذا ليس خد البنت ... لا لون ولا طعم ولا رائحة له.

حزن الأب كثيراً أن الحلوى الجافة هذه قد محت من ذاكرته طعم الطفولة والمذاق الجميل لخد البنت.

التحرّر

رافقتني إلى الخلاء بعيدًا، هربنا من العيون المتربصة والآذان المتلصِّصة، انفصلت عني ثم همست إليَّ:

ـ ماذا بك؟!

تنفستُ بعمق ثم أطلقتُ زفيراً حارًا وسقطت عيناي مني إلى الأرض وصحت:

ـ تعبت ... تعبت.

ـ مم؟!

ـ مللت كل شيء.

ـ حتى أنا؟!

ـ حتى أنتِ.

ـ لم؟!

ـ ما عدت قادر على المضي فيما أنا فيه.

ـ أنا أنت وأنت أنا ... بُحْ.

ـ ما عدت قادر على الابتسام وأعماقي تنزف، أقبل ما أنا أرفضه، أظهر الثبات وداخلي مُزعزع، أتصنع اللامبالاة وقلبي يتمزق، أقتنع بأي شيء وكل شيء رغمًا عني، أبدو راضيًا شاكرًا وأنا اتقلب على نار مستعرة، أقول دائمًا نعم وألف نعم، أراعي الجميع ولا أحد يراعيني، ....

ـ أنا أحس بك وأعاني معاناتك.

ـ أعرف أني تعبتكِ معي ولكن إلى متي ستتحملينني؟

ـ تنبه ... سوف يقتلنا القهر.

ـ ماذا أفعل؟

ـ تحرّر.

أطلقتُ تنهدات حارة متتابعة، ذرفتُ دموعًا غزيرة ساخنة ممزوجة بالمرارة والوجع، تَنفَسَتْ هي الصعداء وهتفتْ بحماس:

ـ انطلق.... انطلق

رحت أجري بأقصى ما أستطيع فاتحًا ذراعيَ حاضنًا الهواء ناظرًا إلى أعلى نحو السماء وهي تجري معي ثم تندمج فيِ لحظة انطلاقي في الفضاء ...

دوَّت صرختي عالية تهز الأرجاء:

ـ لا ....

قاهر الزمن

-١-

اعتاد أن يراها في النافذة المواجهة لنافذته بدار المسنين، اتَّحدا معًا في أوقات النوم والاستيقاظ وتناول الوجبات والدواء.

لم يعد تبادل تحيات الصباح والمساء وما قبل النوم يكفيهما، طالبا وللمرة الأولى بحقهما في ساعة الرياضة التي يُنْزِلون فيها قاطني الدار إلى الحديقة الملحقة به، تقابلا هناك، تحدثا كثيرا، تَوَلَّتْ منذ تلك اللحظة دفع كرسيه المتحرك.

-٢-

بعد أن رماه أبناؤه في دار المُسنِّين لم يحضروا إليه إلا في زيارتهم السنوية الوحيدة له،

شاهدوا جارته المُسِنَة تقدم له الدواء، حكى لهم كثيرًا-وبسعادة غامرة-عن رعايتها الدائمة له؛ نقلوه إلى دار أخرى بعيدة أكثر أمنًا.

-٣-

غفا أخيراً بعد أن جافاه النوم، آلمه جحود الأبناء وغدر الزمن وفراقها، أصابه الاكتئاب في منفاه الجديد بدار المسنين البعيدة. امتنع عن تناول الطعام والدواء، رآها في غفوته هذه تناديه؛ هبَّ مستيقظًا، انتفض واقفًا وقد مَسّتْ روحه قوة خفية، هرول إليها ناسيًا أن له كرسيًا متحركًا.

-٤-

لا يعرف كيف وصل إلى دار المسنين حيث تقيم، أسرع إلى حجرتها فرأى قاطنة جديدة راقدة في فراشها وبجوارها كرسي متحرك،

نظر إلى وجوه العاملين في الدار والمحيطين به فرأى الشفقة في عيونهم، ألقى جسمه على كرسي متحرك من جديد ولم يجرؤ على أن يسأل عنها.

الجوع

-١-

ما إن أتمُّوا تجهيز مائدة غذائي في مطعم الفندق الكبير إلا ووجدته جالسًا أمامي على مائدتي بملابسه الرَّثة ووجهه المرعب وراح يلتهم طعامي سريعًا في شراهة غريبة مثبتًا عينيه في عينيَّ في نظرة عتاب طويلة.

لم ينبس كلانا بكلمة حتى أنهى على الطعام ومضى منسحبًا ولم يسقط عينيه عن عينيَ حتى اختفى. فقدت شهيتي للطعام وراح يشغل تفكيري تكرار ظهوره أثناء تناولي الطعام في المحلات الراقية خارج المنزل وحيرني بالأكثر سرّ نظرات اللوم التي يوجهها إليّ فتُخرسني وتجعلني عاجزًا عن طرده أو حتى نهره.

-٢-

اكتمل اليوم جمع شمل أسرتنا حول مائدة الغذاء في حدث لا يتكرر كثيراً، انتهوا من إعداد مائدة الأسرة وجلوسنا حولها فإذ به وللمرة الأولى يهبط علينا فجأة من حيث لا ندري؛ نُصاب جميعًا بثبات الموتى ويلتهم طعامنا بنهم وعجلة وجنون ناظرًا إلينا نفس نظرات اللوم والعتاب. بعد أن أجهز على كل المائدة انسحب كعادته واختفي سريعًا دون أن نسمع صوتًا لفتح أو غلق باب أو نافذة في البيت. أفقنا من ثباتنا ونظرنا إلى بعضنا في خوف ودهشة وتساؤل.

-٣-

وضعتُ خطتي للإمساك به متلبسًا بجريمته، أمرتُ بإعداد وليمة كبيرة في منزلي، فكرتُ في أناس لا يستطيع أن ينزع اللقمة من أفواههم، دعوتُ أقاربي الفقراء الذين قطعتُ صلتي بهم منذ سنوات طويلة ..

بعثتُ من يتجوّل في الشوارع المجاورة ليحضر كل من يقابله من المحتاجين والمتسولين والباحثين في صناديق القمامة، استقبلتهم وجلست في الصدارة، ما أن تم إعداد المائدة الكبرى حتى هبط سريعًا كعادته، لم يمد يده إلى طعام بل راح يتطلع بسعادة بالغة إلى الأفواه الجائعة النهمة وهي تعمل بهمة، نظر إليّ نظرة رضاء وانصرف في هدوء بلا عودة.

الصّمت والضجيج

يخيم الهدوء على المكان ناشرًا سحب الصمت لا يقطعه سوى صوت ارتشاف الأب من فنجان القهوة وهو يتصفح جريدته اليومية وابنه يجلس أمامه مستغرقًا في قراءة كتابه، حرك الأب الجريدة بين يديه فأحدثت صوتًا بدا كالضجيج.

رفع الابن نظره نحو والده في حركة لا إرادية ثم عاد به إلى كتابه. تقلقل الأب في جلسته، لعب بأصابعه في شعيرات رأسه البيضاء، همّ بالحديث إلى ابنه، تمهل معيدًا ترتيب الكلمات في فكره، جمع كل شجاعته وهمس:

ـ يا بني ... أريد ان أتكلم معك في موضوع.

أغلق الابن الكتاب، نهض من مكانه جالسًا بجوار أبيه وقال:

ـ نعم يا أبي ... تفضل.

ـ أرجوك يا بني أن تفهمني جيدًا ولا تسيئ تقدير موقفي.

ـ العفو يا أبي ... ما هو الموضوع؟

أخذ الأب نفسًا عميقًا، عدّل من جلسته، نظر إلى الأرض وهمس:

ـ أنت تعرف يا بني مقدار ما قاسينا منذ رحيل المرحومة أمك وأنت مقدم على السنة النهائية في دراستك الجامعية ولابد أن يتوفر لك كل أسباب الراحة حتى تحقق آمالنا فيك كما أنك تعلم أني رجل مسن وأحتاج إلى من يرعاني.

أحس الأب أنه بدأ بداية حسنة كاد ان يستمر في حديثه لولا أن قاطعه ابنه متسائلًا:

ـ ماذا تقصد يا أبي؟!

تلعثم الأب، بعثر ابنه سلسلة كلماته، جمع شتات فكره ثانية وأجاب محاولًا تصنع الهدوء:

ـ يا بني ... نحن في حاجة إلى واحدة ترعانا وتخدمنا... أعنى أن أتزوج ....
صرخ الابن:
ـ تتزوج؟!
صُدِمَ الابن من حديث والده، أحس بغصة في حلقه، نظر إلى صورة أمه الكبيرة المعلقة على الحائط، تذكر أنه لم يمض سوى ستة أشهر على رحيلها المفاجئ، أمسك الدموع في عينيه عنوة، حاول الأب تهدئة الموقف فوقف حائلًا بينه وبين الصورة، ربت على كتف ابنه بحنان وقال:
ـ يا بني ... أنت تعرف قدر المرحومة عندي واعرف أنه من الصعب عليك وعليّ أن أتزوج واحدة أخرى ولكن يا بني هذا أفضل لك ولي.
نظر الأب إلى وجه ابنه مستكشفًا وقع كلماته وما ان وجده صامتًا منصتًا حتى استرسل ملقيًا عن كاهله بقية حمله الذي يثقل أعماقه:
ـ وأنت تعرف ظروف بيتنا ولذلك فلم أجد من تصلح لي وللبيت سوى(سوسن) ابنة عمك (فهمي) جارنا و ......
لم يكمل كلماته؛ أوقفته صرخة ابنه الذي هبّ من مكانه فزعًا مُحَمْلقًا في لا شيء أمامه، مادَت الأرض تحت قدميه، أصابته الصدمة ببلاهة شديدة، سرت الرجفة في أوصاله وصرخ بغير وعي:
ـ مَنْ؟!!
دهش الأب مما انتاب ابنه، احتضنه، أجلسه على المقعد وقال:
ـ حقيقة أعرف أنه من الصعب عليك أن أتزوج بعدها لكن (سوسن) هي ...
لم يع الابن بقية كلماته، سُدت أذناه بضجيج دقات قلبه، أغمض عينيه، همس لأبيه بمرارة واحاسيس مميتة تضغط على قلبه:
ـ لكن يا أبي...
لم يعر الأب لكلمات ابنه انتباهًا، ابتسم وضغط على كتفه مقدمًا رشوة حنان ليتقبل ما سيقوله:

ـ والله يا بني مشاعرك عظيمة نحو المرحومة لكن لا تتصور أبدًا أنه سيبدر مني أو من أي شخص في المنزل ما يسيء إلى ذكراها.
أغاظته بسمته، كاد يقتله بكلماته، قال والحزن يملأ قلبه:
ـ لكنك لا تعرف.
سقطت البسمة من بين شفتي الأب، احتلت الدهشة تقاطيع وجهه، صاح بدوره:
ـ لا أعرف ماذا؟!
فكر الابن سريعًا، حاول إنقاذ الموقف ملبسًا كلماته رداء السكينة والهدوء واستدرك:
ـ لا شيء ... لا شيء... فقط انا متعب.
مضى الأب من أمامه، وراحت الثورة العاتية تضغط على أعصابه وأعماقه تغلي وتفور وكله رغبة في أن يصيح:
ـ نعم أنت لا تعرف... لا تعرف أن (سوسن) هي حبيبتي أملي وروحي ومستقبلي، أنت لا تعرف الحب الكبير بيننا، رحمك الله يا أمي؛ بقلب الأم أَحَسَّت نبض قلب ابنها وباركته في صمت، أنت لا تعرف أننا رسمنا مستقبلنا معًا، انفجر البركان داخله فراح يبكي بحرارة.
تنبه حين لمح أباه أمامه يلمع في كامل زينته، قال له الأب بسرعة وابتسامة صفراء حديثة العهد تتوسد تجاعيد وجهه:
ـ ما دمت موافقًا فأنا ذاهب لطلب يدها.
لم يعطه الفرصة ليتفوه ببنت شفة، سيطر اليأس على الابن، سقطت نظراته إلى الأرض ولم يشاهد سوى حذاء أبيه البرّاق يتجه صوب الباب في خطوات ألبسها الشباب.
انفجر الابن باكيا وهو يهذي:

ـ لماذا يا أبي؟ ألا يوجد غيرها على وجه الأرض؟ هل تفعل هذا لشقائي وشقائها .... لحرق قلبينا ومستقبلنا .... لهدم أحلامنا ... أين أنتِ يا أمي؟ ....

ثاب إلى رشده، لم يعرف كم مرّ من الوقت وهو في ثورته هذه، الآلام المبرحة تكاد تعصف بقلبه المذبوح، كلما حاول التفكير في المستقبل أحس وكأنه يفتح على نفسه بابًا من جهنم، وجد نفسه عاجزًا عن مواجهة الواقع؛ كيف تكون حبيبته زوجة لأبيه ويعيش معهما تحت سقف واحد؟

بعد معاناة وطول تفكير لم يجد أمامه منفذًا سوى الهروب-بقلبه الجريح وحزنه الكبير-من الواقع المؤلم إلى حيث لا يدري، نهض سريعًا، جمع ملابسه، جلس يكتب رسالة اعتذار ووداع إلى أبيه، أحس فجأة بيد حانية تلمس كتفه؛ استدار ليجد والده واقفًا منكسًا رأسه خجلًا هامسًا له بكلمات متقطعة متحاشيًا أن تلتقي نظراتهما:

ـ لماذا لم تقل لي يا ابني.

ومضى بخطوات كهلة ثقيلة إلى حجرته ...وعاد الصمت يلف المكان.

عاشق النخيل

أبهرنا (عم عكاشة) فأحببناه رغم ملابسه الرَّثة دائمًا وقصر قامته ونحافته الشديدة وضعف بصره، كان متيمًا بالنخيل بارعًا في صعوده،

ما أن يضع قدميه الهزيلتين على أسفل جذع النخلة حتى يبدو كمن أصابه الجن فنجده يتسلَّقها بسرعة تفوق سرعة مشيه على الأرض فأطلقنا عليه (قرد النخل) . لم يكن أحد من أهل البلدة يمتلك خبرته وقدرته على صعود أخطر النخيل سواء الشاهق الارتفاع أو النحيف جدًا أو حتى الشديد الميل ، تتركز كل أحاديثه وذكرياته عن النخيل فقط، صنع عِشْرةً كبيرة مع كل نخلة في البلدة؛ لم يكن يعرفها واحدة واحدة فقط بل يُصَنِّفها حسب جودة ثمارها وأطلق على كل منها اسمًا خاصًا أصبحت مشهورة به.

تميز (عم عكاشة) بمرحه الدائم وطرائفه ولطائفه الخاصة به والتي يتحاكى بها أهل البلدة، كثيراً ما كان يسخر من نفسه ومن بنية جسده القميئة وضعف بصره الشديد، رغم فقره وبساطة معيشته وعمله لم يُجمع كل الناس على حب أي شخص مثلما أحبوه، لم نكن نراه أبدًا يسير في الشوارع إلا ويحيط به جمع من الأطفال يمرحون ويسعدون معه.

في عصر يوم حار عاصف هبَت البلدة مسرعة إلى كرم النخيل الكائن على أطرافها حين سمعوا دويّ سقوط نخلة كانت هي نخلة (السّبّاقي) الضخمة التي كان يعشقها (عم عكاشة)، كان هو نائمًا أسفلها لحظة سقوطها، تلونت ثمار البلح الخضراء بدمائه الحمراء رغم أن موسم نضج البلح لم يبدأ بعد.

أشجان

"صدقوني يا بشر إني إنسانة ؛ روح وجسد ... نفس ولحم ودم وعظام وأعصاب مثلكم تمامًا، أأكل وأشرب وأُخرج، لي عواطفي وأحاسيسي؛ أحب وأكره، أحلم وأتمنى، اخاف وأطمئن، أضحك وأبكي، لا تقتلوني بحكمكم، ما خلقت نفسي - أستغفر الله – ولكن خلقني خالقكم سبحانه ... فلم الظلم؟!"

أفاقت من شرودها وسط هذا الجمع الغفير المتنوع من البشر الذين يكتظ بهم الميدان فإذا دموعها تنهمر غزيرة وجسدها كله ينتفض تأثرًا بخطبتها المأساوية الحماسية إليهم والتي لم تتفوه بكلمة منها، انتفضت من مكانها وراحت تشق لها مكانًا للسير وسط هذا السيل من الناس، تصطدم بهذا وتدفع هذه، يلتفت إليها الناس جميعًا وهي تعدو، حقًا كم هي مُلفتة للأنظار، تشدُّ الجميع إليها بتميزها، لها وجودها الطاغي. لكن كم هو عميق ومؤلم أيضًا جرحها.

منذ طفولتها وصباها وهي تزهو بنفسها، تحس أنها متفوقة على قريناتها من البنات وحتى زملائها وأقربائها وجيرانها من الأولاد، الحق يُقال إنه أثناء دراستها الثانوية والجامعية وحتى بعد أن تخرّجت ودخلت مجال العمل فإن الجميع يتودَّدون إليها ويطلبون صداقتها، يلتفون حولها لروحها المرحة وأخلاقها الحسنة وشخصيتها الآسرة، ومع هذا فإن الشباب والرجال يخشون التقدم للزواج منها حتى من هم من الأهل والأقارب.

حين سقطت في بحر الهوى ظنَّت أنه المخرج الوحيد من أزمتها، اعتقدت أن الحب الصادق العفيف سيزيل كل العوائق ويحطم كل السدود، كان حبيبها شغوفًا بها آثرها قلبه على كل العذارى، كانت تسحره بشخصيتها

الجذّابة المعطاءة وروحها العذبة وقلبها المحب الوفي، سبحا معًا وعندما كادا أن يبلغا الشاطئ هرب كالآخرين.

جاءتها فرصة العمر أخيرًا حين لجأت أمها إلى الأساليب القديمة التي ترفضها هي وأحضرت لها الخاطبة عريسًا، وافقت على الرضوخ وتنفيذ هذه الفكرة المُتَخلِّفَة بعد إلحاح من دموع الأم. وعندما تقدم العريس الوحيد إليها أخذت هي حقها في الرفض هذه المرة كغيرها من البشر فكيف تتزوج النخلة قزمًا.

الصَّبّار لا يعطي ظلًا

قام البستاني العجوز وهو يلهث بحمل شجرتي (الفيكس) الثقيلتين الكثيفتي الأوراق ليضعهما واحدة فواحدة فوق السيارة النصف نقل، صعد على ظهر السيارة ليجلس بجوارهما ممسكًا بهما للحفاظ عليهما حتى تصلا سالمتين إلى مكان غرسهما المستديم .

سارت السيارة فالتقط أنفاسه، تطلع إلى الشجرتين والهواء يتلاعب بأفرعهما وأوراقهما الصغيرة كما تتلاعب الأيام بالبشر.

تذكَّر ذلك اليوم حين فوجئ وزميله البستاني الشاب بمرور مدير المصلحة المحبوب عليهما وهما يعملان في حديقتها الواسعة ليتنفس هواءَ نقيًا بعيدًا عن جو مكتبه الخانق بهوائه المُكّيف بجهاز التكييف الكهربي والمُعبًأ بدخان الضيوف وضغط العمل. كان هو يقف تحت شجرة (الفيكس) الضخمة ومساعده البستاني الشاب متسلقًا أعلاها ويعمل في قلبها منفذا إرشاداته الفنية. سألهما المدير:

ـ ماذا تفعلان؟

أجابه:

ـ نحن نعمل ترقيدًا هوائيًا لأفرع (الفيكس) القوية حتى تعطي أشجارًا بعد عدة شهور ثم نزرعها في الأرض.

نظر المدير إلى أعلى وأشار إلى أكبر فرعين تم ترقيدهما وقال لهما:

ـ احجزا لي هذين الفرعين وعندما يصبحان شجرتين سوف أأخذهما لأزرعهما في مدافن العائلة التي انتشرت بها نباتات الصبار التي لا تعطي ظلًا وانا لا أحبها.

شرد البستاني العجوز بفكره أيضًا مُتذكِّرًا زميله الشاب - ذراعه الأيمن - الذي أقعده مرض الشلل اللعين والذي كان يعاونه في كل عمله وشاركه في ترقيد وغرس هذين الفرعين ورعاهما حتى أصبحا شجرتين.

ثاب إلى رشده مع توقف السيارة، هبط بصعوبة من على سطحها إلى الأرض، أنزل بمعاناة الشجرتين الثقيلتين واحدة فواحدة والألم والحزن يعتصران قلبه، أدخلهما إلى المدافن وبدأ يعد لهما موقع غرسهما بجوار قبر المدير ويغمره إحساس بالراحة لتنفيذه رغبته بعد رحيله، لسعته الشمس الحارقة الساقطة على القبر، راح يكرر هامسًا: حقًا الصَّبّار لا يعطي ظلًا.

كوب شاي

لعب الزمن لعبته فيهم وترك عليهم آثار أيامه ولياليه ... مرضًا مزمنًا، تجاعيد وجوه غائرة، بياض ثلج منثور على الرؤوس، اجتثاث الشعر من رؤوس أخرى، فرضت النظارات الطبية وجودها بقوة على معظم الأنوف.

بذلوا جهدًا كبيراً في تحقيق أمنية اللقاء بعد ما يقرب من أربعين عامًا منذ انفراط عقد ثُّلَّتهم، فرّقتهم الحياة العملية والخاصة، ها هم يجتمعون أخيراً على كوب شاي في شقة عزوبية (محمود) نفس المكان المحبب إليهم والذي كان لهم بمثابة نقطة تمركز وانطلاق.

افتقدت الثُّلَّة (أحمد) شهيد العبور و(محسن) الطموح الذي حقق حلم شبابه في الهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية وأصبح من رجال الاعمال هناك، كما غاب (طارق) المخلص الخدوم المعطاء المُضحي الذي سقط عليه حائط الفندق القديم في القاهرة وهو في ريعان شبابه ومعه أحد أقاربه الذي سافر من اجله لينجز له بعض أوراق سفره إلى الخارج. وافتقدت الثُّلَّة أيضًا (كامل) الضحوك صاحب النكتة الحاضرة الذي كان ضحية المرض والإهمال والتواكل. وأيضًا غيّب الموت (مكرم) المدرس الذي توفي في حادث سيارة مروع.

أجمعوا ألا ينطلقوا إلى أي مكان وفضَّلوا البقاء في شقة العزوبية حتى يكون استمتاعهم باللقاء كاملًا. لكنهم لم يُجمعوا كما كانوا يُجمعون في سابق عهدهم على كوب الشاي الثقيل الذي راح (محمود) يعده فمنهم من امتنع كأمر الأطباء ومنهم من رفض لآنه لا يشربه ليلًا ومن أراده ثقيلًا أو خفيفًا شايًا أو سكراً. استمعوا بلهفة إلى أخبار كل منهم الخاصة بعمله وأسرته وظروفه الصحية ومشاغله الآنية.

راحوا يجترون ذكرياتهم الماضية وهم يشعرون أن أرواح الراحلين تحلِّق فوق المكان، سألوا (صلاحًا) المشهور ببخله عما إذا كان مازال يرفض التخلص من ماء سلق البيض والمكرونة معللًا آن به عناصر غذائية مفيدة. أخبرهم (بطرس) عن زوجته التي فتك بها المرض الخبيث والتي أحبها طوال سنوات شبابه وكان يلف رسائل حبه في بصلة ويلقيها إلى شرفتها. ها هو (علاء) الناصح يستعرض أمامهم صفقاته الكبرى ومكاسبه في أعمال السمسرة التي زاولها خلال سنوات عمله بالحكومة ويمارسها بعد إحالته إلى التقاعد، غنى لهم (نبيل) مطرب الثُّلَّة أغاني عبد الحليم حافظ التي شاركتهم وعاشت معهم قصص حبهم، أعادوا ترديد النكات القديمة التي كانت ومازالت تضحكهم كثيراَ.

مضى الوقت سريعًا، فتحوا قلوبهم وباحوا بمكنونات أسرارها، ضمّهم دفء الحب الذي لا يموت والذي تفتقده الأجيال الحاضرة المسكينة، استمتعوا كما لم يستمتعوا منذ سنوات تعبوا من عدِّها، غسلت ضحكاتهم هموم العمر، زاد حبهم وقوي ارتباطهم، اتفقوا على لقاء لم يعرفوا موعده ولا من سيُكتب له أن يشرب كوب الشاي فيه.

اغتيال

كأن هناك جنينًا حُبل به قدرهما منتظرًا لحظة ميلاده التي تزامنت مع لقائهما؛ حين تلاقيا وجد أنها تختلف كثيرًا عما سمعه عنها من أخيه الأكبر، انتابها أيضًا نفس الإحساس فكثيرًا ما حكت لها أختها الكبرى زوجة شقيقه الأكبر عنه.

وُلِدَ حبهما صحيحًا قويًا ونما سريعًا في قلبيهما وعقليهما طاهرًا عفيفًا. كان أخوه الأكبر يحارب هذا الحب بكل ما أُوتي من دهاء ومكر وراح يوصي زوجته أن تقتله في قلب أختها. فطنا لكل هذه الألاعيب فكانت تزيد من ارتباطهما العاطفي والعقلي وتقويه.

عقدا العزم على مقاومة هذه الحرب والصمود أمامها مستندين إلى أساس متين من الحب الصادق، مضيا في طريقهما حتى النهاية واتخذا قرارهما بالزواج، رفض أخوه رفضًا باتًا هذا القرار وأجبر زوجته على أن تؤيده في ذلك. دُهِشَ لموقف أخيه الغريب؛ واجهه بكل جرأة طالبًا منه تفسيرًا لموقفه هذا منه ومن أخت زوجته، برّر ذلك بأنها لا تناسبه؛ أجابه بأن هذا شيء يخصه وحده وأنه يريدها كما هي، ضيّق عليه الخناق فلم يجد الأكبر إلا أن يتهمها في أخلاقها وسلوكها.

ضاقت الأرض به وتحطمت آماله وأحلامه، فقد الثقة في كل شيء حتى نفسه، كره الدنيا وكل ما فيها ومَنْ فيها، أصابه اليأس والاكتئاب، اعتكف في المنزل مقاطعًا كل الناس. فُتِحَ باب الحجرة عليه فجأة، أقدمت حبيبته إليه وهي في حالة

يُرثى لها، باحت له بكل ما أخبرته به أختها من أنه لا يناسبها وأنه سيئ الاخلاق والسلوك. صارحها بأن أخيه الأكبر يتهمها بنفس الاتهام؛ هنا ثارت بحدة وبكت بحرقة وأقسمت له بأن أخيه يتحرش بها منذ اكتمال أنوثتها

وكثيراً ما كان يستغل غياب أختها فيصارحها بحبه ويضمها إلى أحضانه عنوة ويقبلها طالبًا المزيد. فجرت قنبلتها في قلبه ومضت مهرولة.

اللَّحَظْةُ

طَرَقَتْ بابه في وحدته التي تزيد هدأة الليل من وحشتها، لم يكن في حاجة إلى التفكير ليعرفها، إنها هي بجمالها وملابسها البراقة التي تتراقص بها الزهور والفراشات الزاهية الألوان.

بهرته ببريق وجهها الفاتن المشرق الذي أشع ضياءه ليملأ المكان كله، انتشر أريجها في الجو ناثرًا عبقًا أخاذًا، قفزت ابتسامتها الساحرة من شفتيها إلى أعماقه مباشرة وحتى إلى شفاه الصور المعلقة على الجدران. جلست واضعة رجلًا على الأخرى، نظرت في عينيه مباشرة وهمست بدلال:

ـ لماذا لا تكتب عني بينما تكتب دائما عنها؟

أجابها دون تردد وهو يبتعد بعينيه عن مرمى عينيها:

ـ لأني مؤمن بها.

ـ لماذا؟!

ـ لأنها الحقيقة.

ـ وأنا؟!

ـ أنتِ اللحظة.

ـ وهي؟

ـ هي النهاية التي ستدوم .

سألته متعجبة:

ـ كيف؟!

أجابها بثقة ممزوجة بالمرارة:

ـ إنه الواقع فكل بداية لابد وأن يكون لها نهاية... ففرحتنا لحظة قدوم مولود تقترن بحزننا عليه لحظة موته مهما طال الزمن بين اللحظتين، الوردة اليانعة مصيرها الذبول والموت، الشروق مآله الغروب، نشوة اللقاء يعقبها

حرقة الفراق ......

قاطعته بقلق:

ـ وأنا؟!

ـ ستكون هي مصيرك الحتمي.

أطرقت طويلًا وسقطت عيناها الدامعتان منها إلى الأرض، خيمت سحابات الصمت والكآبة على المكان، همس بصوت الواثق مُحطمًا جدار الصمت:

ـ كثيراَ ما تكون الحقيقة مُرّةً .

رفعت عينيها وغرستهما في عينيه، وصلت إلى الأعماق منهما؛ اصابت نظراتها الجريئة شيئا ما هناك، عادت إليها الثقة بنفسها فعاد وجهها إلى فتنته وراحت ابتسامتها وإشراقتها وأريجها تغمر المكان، تساقطت الزهور وطارت الفراشات من على ثوبها لتملأ روحه والدنيا، نسى كل شيء وراحا يعيشان اللحظة.

الثَّمَرُ المُرّ

قررت الذهاب إليه ضاربة عرض الحائط كل ما يُحرم فعلتها، لعنت كل القوانين المجتمعية الوضعية التي تُجرم ذلك، سخرت من عادات الناس في العلاقة بين الرجل والمرأة، أحست بأنها تفعل الصواب وأن كل الناس على خطأ.

برّرت تصرفها وأحلَّت لنفسها الثمرة المحرمة، لم تكتف بهذا بل رفعت يديها إلى السماء طالبة أن تبلغ مرادها.

عاشت طفولتها منبوذة وسط أسرتها التي كرهتها دون سبب وأحبّت أخوتها وأخواتها الأكبر والأصغر منها، زوَّجوها مبكرًا حتى يتخلَّصوا منها، كان زواجهًا تقليديًا من رجل بهيمي شرس لا يعرف عن المرأة إلا ما يرضي حيوانيته، كانت بالنسبة له العبدة التي لا تروض إلا بالعصا، استحوذ حتى على حب أولادهما وربَّاهم على أن يكرهونها ويحتقرونها، ها هي قد وجدت الحب الحقيقي الذي حُرِمَت منه طول حياتها فلتعش هذا الحب وتذهب الدنيا وبكل من فيها إلى الجحيم، راحت تمضي في طريقها حتى النهاية.

طرقت بابه وهي تلتقط انفاسها عنوة؛ فَتَحَ الباب ففوجئ بقدومها، دارت الدنيا به، تماسك بصعوبة مستندًا إلى الحائط، وقف امام الباب لا يعرف كيف يتصرف في هذا الموقف العصيب، بادرته بالسؤال:

ـ ألا تسمح لي بالدخول؟!

همس لها بحيرة وقلق:

ـ لماذا جئتِ؟!

ردَّت وهي ترنو إليه بعيني الحب والشوق والاحتياج:

ـ جئت لأكون لك.

صدمته إجابتها وصاح كمأخوذ مُرددًا:

ـ لا ... لا ... لا.

صدمتها إجابته بالأكثر وهمست برجاء وحرقة:

ـ أرجوك ... اسمح لي بالدخول.

صاح بإصرار أكثر:

ـ لا!

ارتفع صوتها وصاحت بغيظ وتعجب:

ـ لماذا؟!

همس ودموعه تشارك إصراره:

ـ لآني أحبك.

دخلت في نشيج وبكاء حارين ومضت مهرولة إلى حيث لا تدري.

قوى خفية

لا يعرف كيف وصل إلى هذا الحي الجديد الكائن في أطراف القاهرة الكبيرة المتوحشة، آتى من الصعيد لتُغرقه العاصمة التي لا ترحم في خضمِّها الواسع الذي لا قرار له، يبحث عن عنوان (فيلَّتها) كمأخوذ لا حول له ولا قوة، يسير إلى حيث لا يدري.

راحت تتلاعب به الأحلام سالبة عقله وقلبه لتلقيه في دوَّامات النشوة اللذيذة محاولًا الإجابة بما يرضي أمانيه الشابة على السؤال المُحير المُسيطر على فكره منذ أن قابلها.

يسترجع اللحظة حين كان يتسكع في وسط البلد قاتلًا الوقت في انتظار قدوم صباح جديد يتقدم فيه بأوراقه إلى إحدى الشركات التي تطلب مهندسين جدد للعمل بها. لا يتذكر-من كثرتها-عدد المرات التي قدم فيها إلى العاصمة للغرض نفسه طوال الخمس سنوات التي سُرقت من عمره منذ انتهاء دراسته الجامعية، كان يتطلع إلى واجهة محل الملابس المشهور فاغرًا فاه مبهورًا بمعروضاته الباهظة الثمنِ التي لا تقع أبدًا في محيط أمانيه مهما تقاضى من أجر حين يعمل مهندسًا فإذ بامرأة أنيقة فاتنة في حوالي الخمسين من عمرها تخرج من المحل مسرعة متجهة نحو سيارتها الفارهة ويسير خلفها عامل المحل مُحَمَّلًا بكومة ضخمة من الملابس.

اصطدمت به دون قصد فوقف صامتًا وقد أخذته المفاجأة لا يعرف ماذا يفعل أو يقول، نظرت إليه أولًا بازدراء مستنكرة فعلته التي لم يفعلها فإذ بها تقف مشدوهة في لحظة صمت توقفت فيها الأرض عن دورانها، تعلقت عيناها به ولم تُسقطهما عن وجهه، ثابت إلى رشدها فبادرت بتقديم الأسف له، تعجب لموقفها حين جذبته من يده فجأة وبجرأة لتنتحي به جانبًا،

سألته عن كل ما يخصّه، كان يجيبها بخوف وتلقائية وصدق لا يعرف له سببًا. طلبت منه برجاء وإلحاح شديدين أن يحضر إليها في بيتها صباح الغد، كررت له عنوانها وهي لا تدري أنه كان قد حفظه من المرة الأولى، زادت عيناها اللتان التصقتا طويلًا بوجهه من دهشته حتى وهي تمضي إلى سيارتها متطلعة خلفها نحوه. حَيّره كثيراً-طوال ليلته-سرّ تلك القوى الخفية التي شدَّتها إليه وشدَّته إليها.

دلف من الباب الرئيسي (للفيللا) ليسير في حديقة غنَّاء تكثر فيها الورود الجميلة المتفتحة فانتشت روحه للسعادة الغامرة التي تنتظره في الداخل. وجدها في انتظاره خلف باب (الفيلا) المفتوح له فاتنة جذَّابة في أبهى زينتها، نظرت إليه بعينين مغرورقتين بدموع الشوق فسقطت نظراته خجلة إلى الأرض، أمسكت يده وقادته لتجلسه بجوارها على المقعد الكبير، سادت لحظات صمت طويلة كانت خلالها تمسح وجهه بعينيها ويتنقل هو بعينيه خلسة وبحذر ليلتقط ملامح المكان التي تشير إلى ثراء فاحش، سقطت نظراته إلى الحائط المواجه لتصطدم بصورة شاب يشبهه تمامًا داخل إطار أسود اللون ومُثبَتٌ على ركنها الأيسر شريط أسود لامع.

وشّ السّعد

لم تكن الشمس قد أشرقت بعد حين دوَّت صرخة أم محمود عالية تمزق سكون صباح القرية الباكر معلنة وقوع الخطب الأليم، أخذتها الصدمة حين توجهت إلى (وشِّ السَّعد) كعادتها كل صباح فوجدتها جثة هامدة.

هبّ أبو محمود مفزوعًا فوجد زوجته بجوارها تبكي وتولول وتلطم خدَّيها، كاد يسقط أرضًا إلا أنه تماسك وراح يقلِّب في (وشِّ السّعد) غير مصدق ما حدث أملًا أن يجد فيها نسمة حياة لكن الحقيقة المرّة صدمته فجلس بجوارها يجهش بالبكاء ويندب حظهم العاثر. انتفض أهل القرية تجاه مصدر الصراخ في بيت أبي محمود. انتزعوه وزوجته عنوة من جوار الجثّة وأخذوا يواسونه في مصابهم الجلل.

كان مشهد وداع (وشِّ السّعد) وخروج جثتها من البيت مؤلمًا يمزق القلوب، شارك الجميع في حمل جثتها على العربة الكبيرة التي نقلتها إلى مثواها الأخير، تماسك أبو محمود أمام الجمع بينما قلبه يتمزق وانهارت زوجته وأبناؤهما أمام مشهد الوداع الحزين ولحظة الفراق المؤلمة. كان السؤال المُلح والمُسيطر على فكر أبي محمود وزوجته والنسوة اللاتي حضرن لمؤازرتها في محنتهما هو كيف سيعيشون بدون وشِّ السّعد؟ بعد عودة الرجال من أداء مهمتهم تجمع الأهل والأقارب والجيران في بيت أبي محمود لمواساته وتقدم كبيرهم ليعطيه منديلًا من القماش به مبلغ كبير من المال جمعوه معا ليشتري بديلة أخرى عوضًا عن وشِّ السّعد وإن كان هو يشك في وجود ما يماثلها.

البوار

أرَّقته الفكرة لكنه لم يجد متسعًا حتى يتقلَّب على البساط البالي الذي ينام عليه هو وزوجته وأبناؤه مفترشين الأرض الوعرة لحجرته الخشبية الكائنة فوق سطح البيت القديم المتهالك، كيف كانت هذه الفكرة غائبة عنه؟! إنها ستحلُّ له جميع مشاكله وستفتح لهم باب الأمل في حياة جديدة مختلفة.

كان أشد ما يؤلمه ويمزق قلبه هو عجزه عن توفير القوت الضروري لأبنائه الجوعى، خارت قواه بسبب مداومته العمل البدني المُرهق ليلًا ونهارًا إلا أنه يفشل رغم ذلك في سدِّ رمقهم وتوفير احتياجاتهم الضرورية، تراكمت عليه الديون وأحنت أعباء الحياة الثقيلة ظهره، فكر كثيراً في الانتحار للخلاص من حياة الشقاء والبؤس هذه إلا انه كان يعود سريعًا مستغفراً ربه ومستعيذا به سبحانه من هذا الشيطان اللعين.

صحا مبكرًا ... لا لم يصح حقًا لآنه لم يغمض له جفن طوال الليل، هبّ نشيطا تغمره سعادة بالغة لم يعهدها من قبل، هرول سريعًا-دون أن يبوح بسره إلى أحد حتى زوجته-متجهًا إلى مركز الأمل تحلِّق في سمائه وفوق رأسه تمامًا أحلام كبيرة طُبّبت فيها جراحه ومُحيت كل أسباب البؤس في حياته، مرَّ أمام ناظريه صورة حياتهم ومعيشتهم الرغدة الجديدة القادمة فغمرت السعادة والنشوة روحه ونفسه ومضى يرقص ويدندن طربًا.

وصل إلى مركز الأمل وعرض عليهم فكرته فاستقبلوه بترحاب شديد وحفاوة بالغة لم يرهما طول حياته، ها هو التغيير الحقيقي قد بدأ، جعلوه يحسّ بأهميته وعظمته، قدَّموا له إغراءاتهم التي ستحوِّل حياته إلى جنة. أدخلوه في دورات عملهم الشديدة التعقيد التي تتطلبها هذه الأمور. تغيّرت

معاملتهم له فجأة ولفظوه خارجًا حين اكتشفوا أن إحدى الكليتين لا تعمل والثانية عليلة. راح يبحث في جسمه عن شيء آخر يصلح للبيع .

الخَبيئة

حام حولنا الكثير من التجار والسماسرة يعرضون علينا أثمانًا خيالية لشراء بيت العائلة القديم الذي نعيش فيه، ازددنا نحن الخمسة أخوة والثلاث أخوات اختلافًا فوق اختلافاتنا القديمة العميقة وفشلنا في الوصول إلى قرار واحد بهذا الخصوص.

فَضَّلَ المقيمون منَّا بعيدًا في القاهرة والإسكندرية استغلال الفرصة وقبول عرض البيع الأخير المُغري بينما رفضنا نحن الباقون في الصَّعيد وبإصرار بيع بيت الجدود الذي ولدنا ونشأنا ونقيم فيه.

كان قد استقر في أذهاننا ومنذ كنا صغارًا قول جدنا الكبير عن وجود خبيئة فرعونية كبيرة أسفل المنزل الذي نعيش فيه، ارتبط بخيالنا الطفل صور نماذج عديدة لمحتويات ذلك الكنز من الآثار الفرعونية الذهبية والحجرية النفيسة والأدوات المتنوعة التي لا تقدر بثمن، كنا نفرح أننا نملكها ونحتفظ بها أسفل منزلنا وسنراها حقيقة بين أيدينا في يوم من الأيام، نما ذلك الخيال خصبًا خلابًا مع نمونا خلال مراحل الصِّبا والشباب والرجولة. حاول أخونا الأكبر أن يعاود ممارسة دوره القديم في رأب الصَّدع المزمن الحادث بيننا ففشل كالعادة، هدَّد الأخ الأصغر بقلب المائدة على الجميع وإبلاغ هيئة الآثار، استطاع الأخ الأوسط الحكيم استغلال التأثير العاطفي القوي لصلة الرحم والدم وعظام التُّربة وأقنع الجميع بعد جهد مضنٍ بألا نبيع البيت وأن نتعاون معًا في البحث عن الخبيئة .. أخلينا البيت وأقمنا في منزل مجاور. بدأنا العمل متعاونين معًا في البحث عن الخبيئة، كنا نعمل مساء كل يوم وحتى الصباح مستعينين بأهل الخبرة ومن يكتمون السِّرّ، طال العمل أيامًا وتعمق الحفر أسفل البيت ولم نصل إلى شيء، بدأ اليأس يتسرب

إلى قلوبنا ولم يقو من عزيمتنا إلا اتحادنا. استمر العمل بهمة جديدة، انهار البيت فجأة في ظهيرة أحد الأيام وحمدنا الله أننا لم نفقد أحدًا منا أو من العاملين في الحفر لحظة سقوطه، اتَّحدنا معاً بحب كبير وعقدنا العزم على أن نتعاون معًا وبحب في إقامة البيت من جديد، أيقنَّا لحظتها أننا وجدنا خبيئتنا.

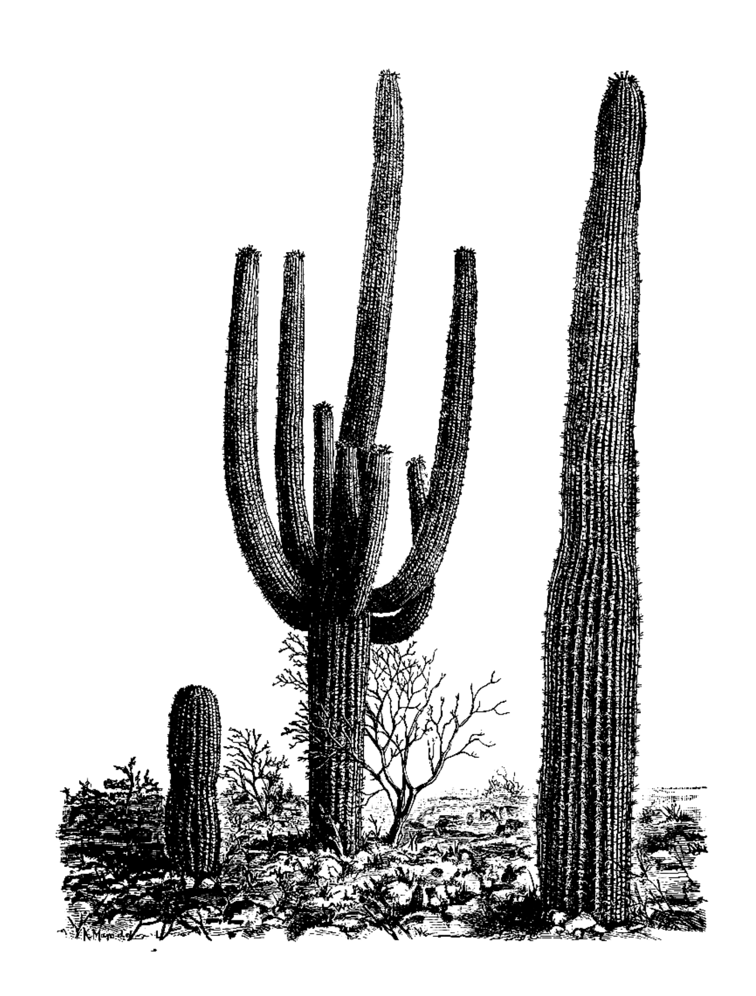
فوانيس لا تنطفئ

هَلَّت بشائر الشهر الكريم فتذكرتُ طفولتنا السعيدة في حارتنا الصغيرة بالحيِّ الشعبي حين كان يجمعنا الحب في أمسيات رمضان لنلهو نحن الأطفال صبيانًا وبناتًا بفوانيسنا الصفيح ذات الزجاج الملون الجميل البرَّاق..

التي كان يصنعها لنا عم (إبراهيم الأعور) السمكري في محله الكائن في الشارع العمومي ونفرح عندما نشعل داخلها شموعًا حقيقية تزيد من إنارة الحارة الصفراء الضعيفة ثم ندور في حلقات أمام البيوت ونحن نغني ونردد بفرح وسعادة: وحوي يا وحوي.

تَحَسّرتُ على أطفال هذا الجيل لانعزالهم داخل الغرف المغلقة فنزلت سريعًا إلى المحل الكبير في الشارع الرئيسي وسألتهم عن الفوانيس فدُهِشوا لأنهم يعرفونني فكيف يسأل مثلي عن فوانيس رمضان؟! تغاضيت عن ذلك وسألتهم عن الفوانيس المصنوعة في بلدنا فنظروا إليّ بريبة كقادم من العصور الوسطى وأخبروني أن جميع الفوانيس الآن مستوردة تعمل بالبطاريات وتُغني ذاتيًا أغانينا المشهورة.

أحسست بالحزن الشديد وبطعنتين في قلبي ولكني اشتريت مُضطرًا لكل أطفال العمارة -دون تمييز-الفوانيس الأجنبية المستوردة التي صُنِعت خصيصًا لنا وتغني أغانينا كما يقولون. رحت أطرق على أبواب كل شقق العمارة واحدة فواحدة لأهنئهم بقدوم الشهر الكريم وأقدم لهم فوانيس أطفالهم؛ انسابت دموعي وزادت حسرتي حين رفض الجميع فوانيسي واتهموني بالجنون بما فيهم زوجتي. رحت أصرخ وأصيح: افتحوا الغرف ... افتحوا القلوب.





قصص قصيرة جدًا

الوَهْنُ

يجلس في عيادة طبيب القلب منتظرًا دوره في قلق، يريد الاطمئنان مُجَدَّدًا على قلبه المصاب بالوهن.

دخلت سيدة أنيقة يصارع جمالها شيخوختها، جلست في مواجهته، هبّت واقفة بمجرد أن لمحته، توجهت إليه لتصافحه بحرارة وتسأله عن أحواله، أزال آثار السنين عن ملامحها المتشبِّثة بفتنتها فعرفها سريعًا؛ إنها هي، أصابه الارتباك الذي انتقلت عدواه إليها، تعلقت عيون الحاضرين بهما، أحسا بالخجل فعادت إلى مكانها، أسقطته المفاجأة على مقعده. تسلَّلت إلى قلبه دقات سريعة لم يعهدها منذ زمن طال فأزالت كل الوهن.

الخوف

ها هو نفس رقم الهاتف المحمول المجهول يعاود الرّنين، رفض الرد ثم استجاب تحت وطأة الإلحاح.

سمع صوتًا أنثويًا فاتنًا تغلفه ضحكة ساحرة، مَادت به الأرض تحت قدميه. ابتلع الزمان سنوات فراق في لحظة، إنها هي بصوتها المُمَيَّز وضحكتها الفريدة، أخذته المفاجأة فلم يستوعب ما قالته، لم يعلق بذهنه إلا خبر قدومها إليه، شرد طويلًا؛ تذكر الزلازل والأعاصير وانفجار البراكين؛ همس في نفسه: ليتها لا تجيء.

الصَّدْعُ

كلما تطلع إلى الجدار أصابته الحسرة، ها هو الشَّرخ يزداد اتساعًا!
تذكر ماضيه حين كان قويًا وجميلًا وبرّاقًا يتحمل صفعات الريح بثبات وجلد، يثق حقًّا في متانة أساسه لكنه يخشى غدر الزمن، انتابه هاجس الانهيار فانتفض سريعًا متوجهًا إليها في الحجرة الأخرى.

انسكاب

حمل أوجاعه وتوجه إليها يشكو غدر الزمن والبشر وشركاء الرحم، منحته ابتسامة (الموناليزا) تبثُّه صبراَ رحيمًا،
تطلعت إليه لتحتضنه نظرات حبها اللا محدود ويغمره حنانها الذي لا يُضاهى، أسبلت جفنيها على حزن لا يراه سواه. أمسك إطارها الأسود وراح يهزّه راجيًا إياها أن تفتحهما ثانية فبلَّلت يده الدموع.

منتهى الحب

اتَّصلت به هاتفيًا من الدولة البعيدة، سألته وهي في ذروة النشوة:
ـ ما رأيك في لقائنا الليلة؟
أجابها بسعادة غامرة:
ـ كان حميميًا حقًّا.
استدركت:
ـ لماذا لم تغلق الباب عند انصرافك؟!
ردَّ بثقة:
ـ لأني سأعود لنكمل الحلم.

خير الكلام

- أنتِ؟!
- أنتَ؟!
- بعد كل هذا العمر؟
- نعم.
- ممكن الآن؟
- ممكن.

الوجع

سمعتُه يئن داخل قفصه، وضعتُ له ماء وطعامًا فرفضهما وازداد أنينه الموجع،

أشفقتُ عليه فأطلقت سراحه، حطَّ على أنفي، ابتسمت لتودده إليَّ، في لحظة خاطفة اقتلع عينيَ وطار بهما، أدخلني في قفص كبير مظلم ولم أتوقف عن أنين مختلف.

نظرة

لم تكن التفاتتي هذه المرة عابرة فما أن رأيته حتى أحسست بأني أريد أن أأخذه في أحضاني من شدة اشتياقي إليه.

أخذتني الحياة حقًا فنسيته، شعرتُ -رغم صمته - بأنه يوجه إليّ عبارات لاذعة من اللوم على جفائي معه، ابتسمتُ له طلبًا للصفح فجاءت ابتسامتنا صفراء باهتة، أطلتُ التأمل، أزف الوقت فعدَّلتُ من إحكام رباط العنق حول رقبتي ومضيت إلى حياتي آسفًا، ما أحزنني هو كل هذا الكم من الآثار التي تركتها السنون على ملامحي رغم ملابسي الأنيقة.

صراع

ألتقطُ أنفاسي بصعوبة بعد مشادتي العنيفة معها، اسْتَخْدَمَتْ دهاءها في أن تخطف مني أصدقائي وصديقاتي من زملائنا الأطفال،

استطاعت بجبروتها في كل مرة ان تنتزع دميتي مني، وَضَعْتُ أصابعي على رأس طفولتي متحسِّسة آثار أظافرها، أحسستُ بالقهر من جديد فانتابتني نوبة بكاء حارة، جفَّفْتُ دموعي وهَمَسْتُ في نفسي بإصرار: لا لن أدعها تسرق عريسي مني.

العَنَاءَ

حطَّت الدنيا عليه بهمومهًا؛ ناء بثقلها، مال برأسه وكتفيه إلى الأمام، يلقي الجميع أحمالهم عليه دون رحمة، كَلَّ ظهره، مال جذعه إلى أسفل، وهن، سقط عدة مرات فلم يجد من يعتقه، تتابعت الأحمال والسياط بلا شفقة، يزداد مع الأيام ثقل حمله فيزداد انحناؤه حتى مشى على يديه ورجليه، تعجب من الجميع حين راحوا يبحثون عن مصدر النهيق.

الاتّجاه المضاد

وقفت السيارة الفارهة أمام المطعم الكبير الذي لا يرتاده إلا الأثرياء فاندفع الصبي الصغير الرثُّ الثياب يمسحها بفوطته الصفراء مستجديًا عطف قائدها.

تلاقت عيناه أثناء عمله مع عينيَ الصبي المتورِّد الخدين الجالس داخل السيارة مبتسمًا له، لم يبادله الابتسام بل توقف لحظة يلعن فقره الذي يحرمه من تحقيق حلمه في الدخول مرة واحدة إلى هذا المطعم. ألقى والد الطفل قطعة نقود له التقطها سريعًا وزادت من همَّته، توقف فجأة وجرى بعيدًا عن المطعم حين رأى والد الصبي وأمه يدفعان ابنهما في إتجاه المطعم على كرسي المتحرك.

الصندوق الأسود

انتهت فترة الحداد على زوجها، خلا البيت عليها، انتابتها رغبة عارمة في أن تكشف سر الصندوق الأسود المغلق الذي يحتفظ به في صّوان ملابسه منذ زواجهما،

تذكرت أسئلتها الملحة عنه في العديد من لحظات سعادتهما وهروبه من الإجابة عليها، أحكمت قفل ابواب ونوافذ البيت، أحضرت كل ما وجدته من أدوات وبذلت كل ما تملك من قوة لفتحه، بكت كثيراً حين وجدته خالياَ.

لغة العصر

تقابلا أخيراً بعد عامين من التعارف على شبكة التواصل الاجتماعي، انتقلا من عالمهما الافتراضي إلى الواقعي.

تحمل من أجلها مشقة السفر إلى الدولة البعيدة، تلاقت العيون والأيدي في لحظة خاطفة، تباعدا سريعًا، أعطى كل منهما ظهره للأخر، أخرج كلاهما هاتفه المحمول، كتب لها: أحبك، ردَّت عليه بصورة قلب أحمر يشتعل.

الغربة

عاد بكل الشوق بعد سنوات من الهجرة، راعه ان الناس ليسوا هم من حنَّ إليهم، افتقد السحر القديم للشوارع.

أحس بشيء غريب يلوث الهواء والمباني ويتغلغل في النفوس، أسرع إلى النهر يرتشف بروحه الظمآنة من مائه؛ لفظه سريعًا، ياللهول إن الماء بطعم الدم!، أحس بالغربة، جرى سريعًا إلى المقابر، بكى أمه كثيراً واستقر هناك.

الفقيدة

بحث عنها كثيراَ فلم يجدها، لم يعثر عليها أو على جثتها، هل اغتالها الأئمة؟ هل وأدوها؟، لم يتم الإعلان عن وفاتها، لم يشترك في تشييعها.

تساءل: كيف يقدر غائب أن يعلن عن غيابه بمثل هذه القوة؟! لكن...مازال يحدوه الأمل في بعثها؛ ينتظرها مع إشراقة كل يوم جديد...لحظة نزول وليد...في كل عيد...مع نبضة القلب عند لقاء الحبيب. أحبطه قهقهة الأئمة تدوِّي في الأفق.

صراع الكبار

ثار الملك ثورة عظيمة؛ كيف واتت الجرأة هذا اللعين على مهاجمة الملك ذاته! أصدر أمرًا ملكيًا بالقبض عليه حيًا أو ميتًا.

فشلت القوات في ذلك، استمر العدو في مهاجمته حتى في عقر داره؛ حقق انتصارات وغنائم كثيرة، وصل إلى ما لا يصل إليه بشر، قضَّ مضجعه؛ أمر الملك بإعدامه شنقًا، تساءلوا: كيف يتم شنق هذا؟! عدَّل الأمر إلى القتل رميًا بالرصاص، استدعى أمهر القناصة الذين أصابتهم الحيرة. فجأة رفع الملك الراية البيضاء لحظة أن قفز البرغوث الغادر إلى أعماق أذنه.

المُغَالَبَةُ

تذكرت كلماته حين ضربوا الأرض بالفأس بسرعة وقوة ففتحت فاها وابتلعت جثمانه.

كنت صبياً عندما كنت أعاونه في عزق الأرض تمهيدًا لزراعتها، كانت ضرباتي للأرض ضعيفة القوة والتأثير فإذ به يخطف الفأس مني ويضربها بكل قوة فاتحًا باطنها وهو يقول بحماسه المعهود: خَوِّفْ الأرض تخاف منك. تساءلت بحزن وأنا أجفف دموعي: تُرى يا أبي مَنْ منكما الآن يخاف من الآخر.

الشَّعْرةُ

أريد أن أتبرأ من آدميتكم أيها البشر؛ أهرب من غابتكم الموحشة.

ليس بيدي إلا أن أقطع الشعرة التي تفصل بين التحرر وعبوديتكم، ها هي الشعرة أمامي ... أراها...أمسكها .... أجذبها ... أ ... ق....ط....ع ...ه ...ا، ها ...ها ... ها...، أنا خفيف، أنا أطير في فضاء لا نهائي، أنا سحابة. يا للهول .... ها هم يسقطوني ثانية مطرًا على الأرض؛ يمسكونني، يكبلونني، يسجنونني في قارورة مع أمثالي من العقلاء.

إباءَ

تَذَكَرَتْ في غربتها نهر الوطن الظمآن. جَمَعَتْ بعضًا من مياه الأمطار المتساقطة هناك.

أخذتها معها حين عادت إلى حضن الوطن، بَكَّرَتْ إلى النهر العجوز وسقته من مياه الغربة فتقيّأها سريعًا، سالت دموعها الحزينة غزيرة فروته.

أمل

ها هو اليوم الموعود لقدومه حيث ينتظره الجميع بشوق ولهفة.

نسج كلٌ منهم أحلامه العامة والخاصة انتظارًا له، ستشرق بحضوره شمس جديدة تمزق ظلامًا طال أمده، سيبعث الروح في جثث تحلَّلت وعظام نخرها السوس، تجمّعوا، تزاحموا، أحضروه لهم على كرسي متحرك فاقدًا السمع والبصر والنطق.

أمواج

جذبه البحر بسحره فزاد من سخونة أعماقه، أحس بحاجته الماسة إلى أن يطفئ ناره المشتعلة.

ألقى جسده الملتهب في مياهه، تلقفته بحنان لم يعهده، انتشى لبرودته التي سرت في جسده حتى وصلت إلى روحه لتهدأ وتهنأ، لم يأبه كثيرًا لاضطراب أمواجه التي تصعد به إلى أعلى في لحظة لتهبط به سريعًا إلى أسفل في اللحظة التالية، بعد زمن لا يعرف كم طال حدثت موجة عاتية لفظته بعيدًا على الشط وأدارت له صاحبة البحر ظهرها.

نبش القبور

اتَّصَلَتْ به بعد فراق طال، سَأَلَتْ عنه وعن أحواله ثم هَمَسَتْ بدلالها المعهود:

ـ أتابع كتاباتك ... فمّنْ هي ملهمتك؟

فاجأه سؤالها لكنه أجابها بدهاء:

ـ ملهمتي ماتت.

ردَّت عليه بدهاء أكثر:

ـ الله يرحمها ... أرى بصمتها واضحة في كل أعمالك.

ارتبك؛ تلعثم وهو يقول:

ـ أسف ... هناك من يطرق على الباب.

أغلق الهاتف وجلس يلتقط أنفاسه، لم يفتح الباب الذي استمر الطرق عليه بإلحاح.

النصف الآخر

أشرقت شمس يوم جديد، جال الإنسان في الأرض يصنع خيراً فإذ به يرى الذئب والحمل يرعيان معًا والأسد يأكل التبن كالبقر أما الحية فالتراب طعامها ... لا يؤذون ولا يُهْلِكون، لا مجاعات ولا زلازل ولا أوبئة ... لا حروب ولا دماء؛ تعجب الإنسان كثيراً؛ بحث عن السر فلم يجد نصف قلبه.

انطلاق

هـيّا يا خاطفي اكرمني وعَجِّلْ فقد ملَّلت الانتظار، أحس ببرودة نَصْلِك تسري إلى رقبتي فلم الخوف ولم التوقف،
دمعت عيناي الآن دمعة واحدة من أجلك أنت يا مسكين، ها هي صور أحبائي تودعني وتبتسم لي، هيا شّغِّلْ نَصْلَك... شّغِّل، ها أنا قد عَبَرْتُ اللحظة بسلام، أرى من حالق دمائي قانية غزيرة تطهر البحر وترعبك.

المسرح الكبير

فُتِحَتْ ستارة المسرح في موعدها، بدأت الفرقة العالمية عرض رواية (البؤساء)،
بُهِتَ الممثلون منذ الوهلة الأولى وتوقفوا عن التمثيل، جلسوا يَتَفَرّجون بدهشة على جمهور الحاضرين الذين برعوا واتقنوا أداء البؤس وهم لا يدرون، تأثر الممثلون كثيراً وبكوا بكاءَ حقيقيًا، لم تُقْفَلْ الستارة بعدُ ويبدو أنها لن تُقْفَلَ.

زَمَنٌ!

لم يعد الحمار قانعًا بحياة الحمار الحمار بل رغب في أن يكون الحمار المطرب.
كوّن فرقة موسيقية من أشهر العازفين، اشترى أغلى الآلات الموسيقية وأجهزة الصوت الحديثة والملابس البرّاقة، غنى في الميدان؛ صَفَّقَ له الجميع عدا الحمير.

شُجُونٌ

هاج البحر فأحدث مدًّا قويًا ألقى بالسمكة المسكينة بعيدًا، احتجزتها الصخور ففشلتْ في العودة مع الجَزْر التالي.
التقطها طائر النورس المتحفز وافترسها، حَزنتُ عليها كثيراً وزاد حزني أن البحر لم يحس بفقد شيء واستمر في مَدّه وجَزْره اللامبالي. نسيتُ أن أسأل نفسي إذا ما كان طائر النورس قد شبع أم مازال ينتظر.

إيمان

وَقَفْتُ على حافة البئر العميقة، نظرتُ إلى أسفل فسقطتْ عيناي في ظلمة لا نهائية،
جذبتني قوة خفية نحو القاع، خلعتُ ماضيّ وملابسي، نزلتُ حثيثًا بأعصاب مشدودة متحفزة، أحاطني الظلام والهواء الرطب الخانق، هبطتُ وهبطتُ إلى أسفل دون أن أصل إلى ماء أو قاع، أمسَكتَني فجأة يدان قويتان جذبتاني إلى أعلى بقوة جبارة، حاولتُ التملُّص منهما ففشلتُ، ألقيتا بي في فضاء ضوئي لا نهائي تعادل قوته مئات الشموس.

الرِّيْبَةُ

السماء صافية والجو معتدل جميل، حفَّزني الهواء النقي المُنعش فأخذت شهيقًا طويلًا عميقًا.

الشوارع نظيفة لا زحام فيها، تلمع أرضها السوداء المغسولة توًا، تظلَّل الأشجار الوارفة المُزهرة جانبيها، السيارات تسير في سلاسة دون إحداث أي تلوث بيئي، تلتزم بإشارات المرور ولا تحتاج إلى استخدام آلات التنبيه، لا زحام ولا تدافع و لا ضجيج بشري، الناس يسيرون بهدوء و في أمان، تشع السعادة من العيون و تملآ الابتسامة الوجوه، تعلن رائحة الحب عن نفسها بقوة منتشرة في كل النفوس و الأرجاء؛ انتابتني ريبة وخوف فرحت أعدو سريعًا عائدًا إلى البيت.

فقيدة

ثَبّتَ فيلسوف البلدة لوحة كبيرة بيضاء في وسط الميدان، وضع أسفلها أقلامًا وألوانًا في متناول المواطنين.

تباينت ردود أفعال أهل البلدة فمنهم من أتهمه بالجنون ومنهم من انصرف عنها وقد غلبته اللامبالاة المزمنة بينما مرّ العامة أمامها فاغرين أفواههم غير مدركين، سجل المثقفون عليها تعريفات ورسومات مختلفة للحرية، تحوّل لون صفحة اللوحة الأبيض بعد ساعات إلى الأسود المختلط بالحمرة، قفز أحد الشبان المعارضين الغاضبين فأسقطها ثم داسها بقدميه ومزّقها، صرخ الفيلسوف بأعلى صوته مندّدًا وجلس يبكي عليها.

النسر

يصعد بها عاليًا في الهواء فتحلِّق روحه معها قاهرة جاذبية الأرض التي تكبل حريتها.

ها هي حبيبته واقفة في شرفتها تتطلع إلى السماء راضية كغيرها بأمنيات الأحلام، عجزت عن اتخاذ القرار بمرافقته في رحلته، يترك لخياله العنان في صنع قصص مأساوية للقانعين الخانعين المقيدين إلى الأرض، كلما ارتفعت الطائرة إلى أعلي صغرت المباني وحبيبته وكل الناس وكبرت فيه نشوة المنتصر الذي يقهر عنان السماء، اشتدَّت الريح ففقد السيطرة على الطائرة، سقط أرضًا مع أحلامه لحظة أن قُطِعَ الخيط.

حنين

رغم كل ما حدث اشتقت إلى مذاق ونكهة القهوة معها.

أعدَّدت فنجانًا لي وآخر لها، تناولت رشفة من فنجاني يليها رشفة من فنجانها، دُهشْتُ... كان فنجانها عديم المذاق والنكهة، قمت بمزج ما بالفنجانين معًا ففقدت ذاكرتي لحظتها طعم ورائحة القهوة.

مأساة

قيّد الصغار يديه ورجليه وكمّموا فمه. أوقفوه في وسطهم وأخذوا يسخرون منه.

راحوا يدورون حوله في حلقات راقصة مردَّدين أغانيهم الخليعة، امتدَّت أياديهم لتنهش ملابسه أثناء دورانهم حتى تعرّى تمامًا، مزقوا كتبه إلى قطع صغيرة وألقوها فوق رأسه وجسده، سقط لحظة أن اتهمه الجاهلون بالجهل.

الجبل

ما يقلقها ويحيرها أنها لا تعرف سببًا لتغيره المفاجئ؛ طوال الستة أشهر الماضية ومنذ أن تسلمت عملها تحت قيادته وهو يعاملها بكل تقدير وحنوٍ.

شخصيته جادة صارمة تُجبرك على احترامها ... قوي شامخ كالجبل، يقوم بنفسه بتدريبها على عملها الجديد؛ يوجهها ويرشدها بصبر وطول أناة المعلم القدير المعطاء. لاحظت منذ أسبوع تغيره المُحَيِر تجاهها، أصبح فظًا قاسيًا معها، لا يمضي يوم إلا وقد عادت إلى المنزل باكية لتأنيبه الشديد لها على خطأ كان قبلًا تافهًا. انتهزت فرصة وجوده وحيدًا في مكتبه؛ دخلت عليه، أفرغت كل ما في جعبتها؛ نظر إليها نظرة طويلة عميقة، امتلأت عيناه بالدموع وانهار أمامها.

البدر

اعتاد أن يطلب منه زملاؤه وزميلاته أن يرسم صورًا شخصية له.

كان بارعًا في رسم جميع الوجوه بالأبيض والأسود لاعبًا بالظل والنور، لفت نظره أنها الوحيدة التي لم تطلب ذلك منه، سهر الليل محاولًا رسم صورة لها كالباقين فعجز؛ كان النور يقهر الظِّلَّ في طلعتها.

هجرة

استعان الأخوة بالشيطان، تقاتلوا، أشعلوا النيران في القلوب والديار.

ذبحوا الحمائم، اغتالوا أشجار الزيتون، عمَّ الخراب والدمار والبؤس؛ دوَّى الصراخ ونعيب الغربان والبوم، تقلقلت عظام الجدود في مقابرها، انتفضت، هبّت في ثورة عظمية عظيمة طافت أرجاء البلاد تُذَكِّرُ بصلة الرحم وتطالب بحقن الدماء، هالهم ما رأوه؛ بحثوا لهم عن مقابر أخرى في وطن بديل.

الغائب

وقفت تلتقط أنفاسها بعد أن بذلت جهدًا كبيرًا في الصعود على المقعد.

وصلت يدها المرتعشة أخيرًا إلى الساعة الكبيرة المعلقة على حائط الرّدهة بجوار المرآة، نزعت غلافها، راحت تدير عقاربها إلى الوراء بكل ما تستطيع من قوة وهبتها لها لحظة جنونها، كلما أصابها الوهن توقفت لحظات لتستجمع قواها ثم تعاود إدارتها من جديد بكل عزيمة وإصرار. بعد وقت لا تعرف كم طال سقطت الساعة أرضًا فتحطَّمت، نظرت في المرآة بتمعن وأسى؛ ها هي تجاعيد وجهها كما هي، أيقنت لحظتها أنه لن يعود إليها.

بؤس

يتصارع الأطفال اللاجئون في الصحراء القاحلة مع الموت.
يتقاتلون على الطعام الذي تسقطه لهم الطائرة، يصيح الطفل الجالس مع والده في الحجرة المكيفة أمام التلفاز: إنهم لا يغسلون أياديهم قبل الأكل يا أبي!، يجيبه الأب مستنكرًا: لهذا سنمنع عنهم المعونة.

ابتسامة

يحيرني أمر هذا الرجل؛ يحبني حبًا جَمًّا وهو يعرف كم أكرهه، يقولون إنه أخي وأنا لا أعرف ما هي الأخوة.
كم يضايقني حبه ويخنقني حنانه وتغيظني عطاياه لي. أنهره فيصمت، أسبّه فيبتسم، أضربه فيضحك. بلغ السّيل الزّبى فأمسكت بتلابيبه؛ أسلم نفسه لي، خنقته بكل ما بثَّته فيّ الكراهية من قوة فابتسم كعادته؛ سقط صريعًا بين يديّ، غاظني بالأكثر هذا الميت المبتسم فقطعت رأسه لكنه استمر على ابتسامته، حرقت جسده في النار حتى أصبح رمادًا نثرته في الهواء فدوّى الضحك في كل الأرجاء مما أصابني بالجنون، دخل الرماد إلى جسمي عنوة مع شهيقي، سرى في دمي، وجدتني ابتسم مثله وأنا أبكيه.

العودة

يئنَّ عصفور الكناريّ أنين المكلوم منذ أن ماتت وليفته.
فقد الشهية للأكل والشرب والتغريد، يقف حزينًا هزيلًا في ركن القفص، أشفقت عليه؛ فتحتُ له باب القفص وأطلقتُ سراحه، حلَّق مسافة قصيرة ثم حطَّ على سور الشُّرفة، هزَّ رأسه يمينًا ويسارًا ثم عاد إلى القفص، وقف في المكان الذي ماتت فيه، راح يشمّ رائحتها ويئنّ، قهرني الشوق؛ أمسكتُ الهاتف ورجوتها أن تعود إلى بيتنا ونغفر.

النهر

ترك البيت غاضبًا، مضى في طريقه تائهًا لا يلوي على شيء،
وجد نفسه جالسًا على ضفة النهر الكبير، تطلع إلى قرص الشمس الغارب فوجده ملتهبًا كأعماقه المتأججة، أمسك قطعة من الحصى وألقاها بعصبية بالغة على سطح المياه لتصنع تموجات دائرية تتسع وتتسع حتى تتلاشى، ألقى بعصبية أكثر قطعًا متتالية لتنشأ في كل مرة موجات جديدة تبتلع سابقاتها. توقف ليلتقط أنفاسه، عاد النهر إلى هدوئه وجريانه المعتاد، تنبه إلى أن النهر لم يتذمر ولم يثُر ولم يترك مجراه؛ هدأت نفسه وسكنت روحه فعاد إلى البيت وقد غاب قرص الشمس الملتهب وراء الأفق.

انكسار

أسقطهما القدر شعاعين أبيضين في بؤرة التلاقي. تآلفا؛ اندمجا، تحولا إلي شعاع واحد أحمر قانٍ،

انطلق شعاعهما إلى عنان السماء، شاهد ولا مس الشمس والقمر والنجوم في آن واحد، جاءتها رسالة من الأرض؛ انبهرت بها فأسرعت بالانفصال، انكسرت إلى أسفل مُلبية النداء ناسية إياه هناك، حين أفاقت من غيبوبة الخديعة فشلت في الانعكاس والصعود إليه، رأته حزينا مُنكسرًا في حضن الشمس المسرعة نحو الغروب.

الصَّمَمُ

لم تستطع آثار الزمن التي تركت بصماتها واضحة عليهما أن تخدعهما فينكر أحدهما الآخر.

عرفا بعضهما بأحاسيسهما التي لا تخيب، حاولت الوردة الذابلة أن تداري نفسها خجلًا ففضحها عبيرها القابع في ذاكرة فؤاده، كان لقاؤهما حارًا قهرا فيه الزمن، دقَّ جرس الفراق بإلحاح فدحراه هذه المرة وادعيا ضعف سمع العُجُزِ، توكأ كل منهما على الآخر وسارا معًا لا يلويان على شيء.

الغريب

تركزت عيون المشيعين على هذا الشخص المُنهار حزنًا الذي يشاركهم رحلة الوداع الأخيرة لأبنتهم الشابة التي وافتها المنية فجأة.

نسى الجميع الصدمة وراحت أفكارهم وتساؤلاتهم تحوم حول هذا الغريب الذي يكاد الحزن أن يقتله، لم يحتمل المشهد أن يجرؤ أحدهم بسؤاله عن أي شيء، بعد مواراة الجثة الثرى اندفع الأب المكلوم يحتضن الغريب ويجهشان معًا ببكاء حار، مضى تشيّعه نظرات حزينة متسائلة.

الزائرةُ

طرقت بابه في ليلة شتاء قارسة البرودة غاب قمرها، كانت الإضاءة خافتة فلم يعرفها.

حين نطقت اسمه حاول منعها من الدخول؛ دفعت الباب بقدمها ودلفت إلى الداخل عنوة، جلست على أقرب مقعد واضعة ساقًا فوق الأخرى، لامته على سوء استقباله لها، أبدت استياءها من هذا الإظلام ونهضت لتزيد بنفسها قوة الإضاءة، طفح القبح الساكن أعماقه ليكسو كل ما يحيط به فرآها أقبح كثيراً مما عرفها، اشتدَّ من جديد نزف مرارة قلبه التي قهرت كل ما هو حلو في حياته، خنقته ذات الأشواك التي خنقت أزهار ربيعه، ثارت العواصف الملتهبة في باطنه، ترك لها المنزل واختفى حين تذكَّر خديعتها.

السّهْدُ

كان فاقدًا قبلها كل إحساس بالتشوّق واللهفة؛ أصبح ينتظر كل ليلة بمزيج من الأمل والترقب إطلالة اليوم الجديد ليراها.

يعدو إليها على جناح الشوق مُحلقًا في سماء رحبة من النشوة والسعادة، كل ما حوله يبتسم له ويتراقص ... الطيور والأزهار والفراشات. حين يلتقيان يذوبا في اللحظة؛ يتلاشى عداهما كل ما في الكون. طالت اليوم ليلته وطال سهده، يبكي على طيوره وأزهاره وفراشاته التي قتلتها الغادرة لحظة أن اغتالت صباحه.

اللَّمْسُ

همّت بالخروج من بيتها مبكرًا فإذ بها تجد هاتفًا محمولًا أمام الباب، نظرت حولها باحثة عن شخص ما يكون قد سقط منه فلم تجد.

أمسكته بحذر وراحت تُقَلِّبُ فيه فأدركت أنه جديد، رنَّ فجأة في يدها معلنًا عن وصول رسالة، فتحتها بفضول عسى أن تحوي شيئًا يدلّها على صاحبه أو صاحبته؛ وجدتها مليئة بالحب والهيام، أدهشها أنها موجهة إليها شخصيًا؛ ارتبكت جدًا، أعادت النظر حولها بريبة، هداها تفكيرها إلى أن تتركه في المكان الذي وجدته فيه، وضعته برفق ومضت مهرولة وشيء ما في داخلها يتمنى أن تجده حين تعود.

جنون

لم أكن أتصور قوة ارتباطي وتعلقي به إلا بعد أن سقط عليلًا، أيقنت أخيراً بأنه أحب الأصدقاء إلى روحي ونفسي وقلبي.
انتابني -خشية أن أفقده - مشاعر حزن عميقة وأصابتني كآبة مقيتة لا حدود لها، تبرّمت زوجتي حين رأتني مبتئسًا وقد انعزلت عنها وعن الدنيا جالسًا إلى جواره متابعًا حالته بقلق متطلعًا إلى لحظة استرجاعه عافيته المرجوة، لم أبخل عليه بأية نفقات مادية، استدعيت له أمهر الأخصائيين المشهورين القادرين على علاجه، رُدَتْ إليّ روحي لحظة أن ظهرت على شاشته (أهلًا بكم).

الاحتفال

يتسلل الظلام من أعماقه ليذوب في ظلام حجرته فيزيد من كآبتها، يعتصر الحزن قلبه في ليلة ذكرى ميلاده التي يمضيها وحيدًا.
شرد بخياله الظمآن لينهل من ذكريات أحداث احتفالات أعياده السابقة. رآها تطرق بابه، ينتفض لقدومها قلبه وروحه، تخرج من حقيبة يدها هاتفها المحمول وشمعة حمراء، تشعل الشمعة وتطفئ جميع انوار الرّدهة، تدير هاتفها المحمول ليهمس بصوت الموسيقى التي يعشقانها، يرقصان عليها، يذوبان مع الشمعة، مرّت ليلة الاحتفال سريعًا فأطفأت ما بقي من الشمعة وانصرفت. استيقظ من نومه صباحًا يلعن وحدته، توجه إلى الرّدهة؛ هاله أن وجد على المنضدة بقايا شمعة حمراء.

العَطَبُ

عجز المخ عن القيادة، وَجَدَتْ الرِّجلان فرصتيهما للكشف عما هو مكنون في أعماقهما.
عَيّرَتْ اليُمنى اليُسرى بأنها يُسري وكذلك فعلت اليُسرى، اختلفتا؛ أرادت كل واحدة منهما ان تسير في الاتجاه المضاد لاتجاه الأخرى، تنازعتا بشدة فانشقَّ البدن وتهاوى، مات القلب حزنًا والمخ كَمْدًا.

السِّرّ

ها هما ينفردان معًا للمرة الأولى، كان أكثر ما جذب انتباهه منذ أن التحقت للعمل معهم هو ابتسامتها التي لا تفارق وجهها.
يحسدها الجميع على فتنتها الطاغية أما هو فكان الوحيد الذي يحسدها على هذه الابتسامة الدائمة التي هي بمثابة مفتاحها السحري لغزو كل القلوب حتى قلبه الحجري. راح ينتهز هذه الفرصة ليبدي لها إعجابه بهذه الابتسامة الساحرة ويسألها عن سِرِّها فإذ بدموعها تنساب في صمت ولم تفارق وجهها نفس الابتسامة، تركته وانصرفت دون ان تنبس بكلمة. الآن لم تعد الابتسامة هي السِّرّ الوحيد الذي يشغله.

تلوث

وصلتُ إلى الشارع الكبير ورحتُ أستنشق بعمق هواء الصباح العليل الذي لم يتلوث بَعْدُ.

استعدتُ نشاطي وارتفع جفناي الثقيلان بعد ليلة طويلة من الأرق حين استوقفتني فتاة صغيرة في حوالي الرابعة عشرة من عمرها تحمل رضيعًا عمره شهور قليلة، سألتني صدقة رحمة بها وبالرضيع، أصابني الشك فسألتها بنبرة غاضبة من أين لها هذا الرضيع فصُعِقْتُ حين أخبرتني أنه ابنها، عدت فسألتها بغضب أشد عن أبيه ففرّت من أمامي مهرولة بأقصى ما تستطيع وهي تنظر خلفها بريبة.

المَسّ

أنشأ لنفسه موقعًا جديدًا على شبكة التواصل الاجتماعي واختار له اسم (حنان) كي يجذب الأخريات إلى صداقته.

بدأ هو يراسل (حنان) وتراسله، تحدثا في جميع الأمور الحياتية، تبادلا الآراء في الثقافة والسياسة والتاريخ والفن وحتى في الحب، وجد تطابقًا بينهما في الآراء والأفكار، مرّت الأيام فتوطدت العلاقة الافتراضية بينهما فارتبطا عقليًا وعاطفيًا. ذهب للقائها في أول موعد أعطته له.

غربة

سلب الأشرار الارتواء، غاب المطر وجفَّ النهر وتشقَّقت الآبار. يقاتلني الظمأ فأرحل بعيدًا حيث الخصب والنماء قاصدًا بلل الرِّيق والروح.
بهرتني غزارة الفيض هناك وأفزعتني مرارة المياه، أنهل منها لأعيش فلا أنا حيّ ولا مرتو؛ يزداد العطش المُميت، أشتاق إلى عذوبة مياهها؛ أقرر العودة إلى عينيها آملًا هطول الغيث أو الموت فيهما.

الغرق

طَلَبَتْ من الأرض أن تنشق وتبلعها فلم تستجب، زاد الطرق على الباب قوة وسرعة.
راحت تسابق الثواني وهي تلملم آثار جريمتها النكراء، لعنت نفسها والظروف التي أسقطتها، نظرت إلى السماء وسط سيل دموع الندم طالبة الخلاص واعدة بالتوبة. سخرت من نفسها وتلك الذكرى هاربة منهما -للمرة المائة-بالسقوط في اليَمِّ نفسه.

فضول

جذبه الضوء الشديد الذي يراه للمرّة الاولى في حياته وقد تسلل خلال الثقب الصغير الحادث توًا.

عاش منذ يومه الأول وسط ظلام دامس فلم يعهده، همست له نفسه أن يتطلع خلال هذا الثقب، مدَّ رأسه للخارج يتحسّس الدنيا الجديدة، تقدم بجرأة إلى الأمام دون حساب للعواقب، انبهر بالاتساع غير المحدود وبالألوان الصاخبة التي لم تتحملها عيناه في البداية، تنفس روائح غريبة زكيه أصابته بالدَّوار، تقدم أكثر وأكثر، ارتعب من مخلوقات عملاقة تتحرك حوله بسرعة، أحس بالخوف و بالغربة فحنَّ إلى جحره، حاول الرجوع فتاه عن الثقب، دار حول نفسه في جنون فدهسته قدم عملاقة.

مراوغة

أراها على امتداد البصر فيحنَّ قلبي إليها، أسرع إليها مدفوعًا بقوة شوق مكنونة.

أكاد أبلغها فتبتعد، أجري نحوها بسرعة وتصميم كبيرين، تلتفت نحوي وتبتسم وهي تعدو بعيدًا جدًا، أزداد غيظًا وإصرارًا واشتياقًا فأنطلق بسرعة الروح اليائسة، تنظر نحوي بتهكم وتعاود إثارتي بفرارها؛ يصيبني الجنون فأطلق نحوها سهمي الذي أصاب هدفه، أعاود انطلاقة الأمل الجريح حتى أبلغها فإذ بها تختفي فجأة ولا أجد إلا سهمًا مُلطخًا بدمها ودمي.

تَأرجُحٌ

نظر إلى النصف الملآن من كوبه فابتسم راضيًا سعيدًا، شاغله النصف الفارغ سارقًا انتباهه فاغتمّ رافضًا حزينًا.

تنقلّت نظراته حائرة بين النصفين فتناوب-دون إرادة -موجات الضحك والبكاء، أصابته لوثة فأطاح بالكوب، نزف دمًا مع أنه لم يطح إلا بالهواء، اختفى كوبه فجلس يُمني نفسه بكوب آخر.

الوَخْزُ

مات لديه أي إحساس بعواقب ما يفعله؛ استمر في علاقته معها مُغَيّبًا مأخوذًا تحت تأثير مخدر الحب الآسر.

لم يدرك في أي طريق يسير، نسي أو تناسى مصيره المحتوم، افتقد الحدَّ الأدنى من قوة الإرادة التي توقف انهياره وتجعله يستطيع أن يواجه نفسه بالحقيقة. تعجب كيف كرهها حين أَخْبَرَتْهُ أن أيامها معدودة.

ضَجَرٌ

أوقنُ أنهم يكرهونني؛ قد مَلُّوا مني ومن ارتباطهم بي، يضمرون التبرؤ مني ويترقبون اللحظة.

يمقتون أفعالي وأفكاري التي أرهقتهم عُمْرًا، يعارضوني في لحظات ضعفي وحتى قوتي، يشمتون فيّ ويفرحون حين أسقط ويحزنون حين أقوم، ينسون

رفقة الرحم والميلاد والعمر، لا يقدرون حبي لهم واهتمامي بهم، لماذا لا يتذكرون أني حزنت وتألمت كثيرًا حين كُسِرَ ذراعي الأيسر؟

غَدْرٌ

ها هو الموعد الذي يأتي فيه البلبل الجميل الذي فُتِنَ به وبأغرودته، ينتظره اليوم بجنون الشوق واللهفة ولن يدعه يهرب منه.

كم ألقى له حبوبًا شهية كي يسكن حديقته فأذهله شموخه وإصراره على ألا يهبط أرضًا، أحضر له قفصًا سحريًا وعلَّقه على شجرة الكرز فسكنه العنكبوت، نصب له فخًا على كرمة العنب فاصطاد غرابًا. ظهر البلبل فصوّب إليه سلاحه وأسقطه قتيلًا، طلب منه أن يغرد له دون جدوى، جلس حزينًا وراح يبكي غباءهما.

وفاء

يُلحّ عليّ اللحظة مذاق لبن ثديك ممزوجًا بعبقك الفريد، ها هو الذائب في روحي وجسدي ينتفض.

أحسه يسري في عصارة خلاياي، يدغدغ عجينة عظامي التي تختلطين أنتَ فيها بكل ما فيكِ، يجري شريط عطائك السخي سريعًا أمام مخيلتي. تطنّ في أذنيّ أغنيتك الشجية فترفّ لها جوانحي. ما هذا؟! إنه سيل قلبي يَرُدُّ لكِ لبنك في سخاء بلون الحب الأحمر، يتلقفني الآن حضن رحمك الرحب؛ يحتويني بحنان لا يُضَاهَى، تسمو روحي عاليًا وهي تهتف بحياتك.

الأستاذة

واثق بإحساسه أن وراء رنَّة هاتفه المحمول هذه رسالة أخرى منها، اختطفته اللحظة مَسْبِيّا إلى دنياها الساحرة.

تذكَّر كيف انتزعته من جدب أحاسيسه إلى خصب الحب، قادته إلى أن يغرس هناك جنة فيحاء لا عهد له بها فأثمرت أعنابًا وورودًا ورياحين. علَّمته -وهو الأُمي- كيف يسلك دروب العاشقين، جعلته يوقن كُنْهَ اللحظة والنبضة والدمعة في قُربها وأيضًا في بُعدها، أذاقته مرارة صبر الليالي وحرقة الشوق مترقبًا الغد وكل غد، درَّبته على الغوص في بحور الشهد حين يلقاها، أعاشته اللحظة كلما ضربتهما الزلازل والأعاصير وانفجرت البراكين. ثاب إلى رشده متذكرًا أنه قاطعها منذ أن اكتشف أنه ليس تلميذها الوحيد.

زَئِيرٌ

استيقظت حيوانات ُالغابة هذا الصباح على صوت صراخ وأنين مزعجين، هالهم ما رأوه.

يعرفون حقًا قصتهما معًا منذ أن أعجبت الغزالة الجميلة بالأسد القوي فتودَّدت إليه بحذر من بعيد، شغلته تلك النظرات التي تشعّ من عينيها عن أن يفترسها، دار حولها يزأر بغرور متباهيًا بنفسه، تكرّرت لقاءاتهما هذه فأحس الأسد نبضًا جديدًا غريبًا في قلبه، هام الملك بها واستسلم لحبها، راحت هي تقفز هنا وهناك بسعادة حين أيقنت أنها تمكنت منه، أصبح المنظر مألوفًا أن يروا الغزالة راكبة على ظهر الأسد ويطوف بها في أنحاء الغابة وهي تزأر؛ الذي لم يكن مألوفًا أن يروها اليوم وهي تفترسه.

(تسونامي)

وجدا نفسيهما فجأة مكونين لواحد يسمى البحر، تسربت مياه البحر في حب وعشق أبدي متغلغلة في جفاف مسامات البرِّ إرواءَ.

احتضنت حبيبات البرِّ الظمآنة مياه البحر ارتواءً، اعتاد البرّ العاشق نوبات مدٍّ وجزر البحر الودودة وتلقى صفعات أمواجه بحب كبير، ألف البحر المُحب جفاف البرِّ وقساوة صخوره التي تتكسر عليها تلك الأمواج برضاء تام. كانت الطَّامَّة الكبرى حين ضرب البحر الغاضب برَّه بقسوة فحطمه. العجيب أنه لم يستطع أن يحطم ارتباطهما الأبدي.

إيماءة

مادَت بي أرض القطار لحظة أن جَلَسَتْ في مواجهتي على بعد ثلاثة مقاعد، لم أصدق أنها هي إلا بعد ان أومأت لي برأسها.

ها هي أخيراً أمامي وبعد عمرٍ من فراق مضنٍ. ابتسمتْ فابتسمتُ وطالت ابتساماتنا تسترجع ماضينا، سقطت ابتسامتي حين خلا المقعد بجواري، ماتت ابتسامتها بدورها وكأنها قرأت أفكاري وتأسف لعجزها التجاوب معها. خلا المكان بجوارها فأومأت إليّ إيماءة ذات معنى، أطرقتُ إلى الأرض وخشيتُ أن أذهب إليها فتلاحظ عليّ العَرَجَ.

الألم

تحسّر على شبابه حين كانوا صغارًا وكان هو فتيًا يقود القافلة.

جاءت اللحظة القاتلة حين دار الزمن دورته فاستخدموا ذكاء شبابهم -مفترضين غباء كهولته-فتركوه ومضوا بالقافلة دونه بعد أن أصبح الكلب العجوز عبئًا عليهم ولم يعد قادرًا على قيادتها أو حراستها.

الآخر

وجد أخيراً ما يؤكد الهاجس القابع في فكره بوجود كائن يماثله تمامًا يعيش في مكان ما من هذا الكون اللامحدود.

إنه الوحيد الذي يحس به ويرتبط معه برباط قوي خفي لا يراه سواه، يشاركه سعادته وهمومه. تتباين أحاسيسه تجاهه ... فتارة يحبه وأخرى يرغب في فنائه معه. شردت أفكاره هذه لحظة أن قرأ الخبر الوارد في الصحيفة المفتوحة بين يديه باكتشاف جديد لكوكب يشبه الأرض تمامًا ويقع على بعد المئات من السنين الضوئية. تُرى هل يكون هناك؟ تفاعل قرينه اللّدود مع أفكاره كعادته فأطلّ من أعماقه مخرجًا له لسانه الطويل.

الندم

تنازعا على النظر من النافذة الضيقة المرتفعة في سجن المدينة لالتقاط بضعة أنفاس من الهواء الخارجي.

تطلعا بحسرة إلى الحديقة المواجهة. تذكَّرا يوم أن تنازعا على موضع كل منهما في هذه الحديقة التي ينامان فيها كل ليلة-مع العشرات من المُشَرِدين- بعد انصراف الحراس. اشتدَّ ليلتها التقاتل بينهما وأصابا بعضهما إصابات بالغة فحُكم عليهما بالحبس في نفس السجن. صرخا عاليَا حين رأيا آخَرَيْنَ يحتلان مكانهما ويتقاتلان على موضع كل منهما فيه، تعجبا أن الهواء في الخارج مازال طَلْقًا ونقيَا.

إدمان

أحسَّ بها تغطُّ في نومها فرفع الغطاء عنه بخفة لص، أغلق باب الحجرة وراءه بهدوء.

اتَّجه على أطراف أصابع قدميه إلى الحجرة الموجود بها الحاسوب، أغلق الباب، شغَّل الحاسوب، جلس أمامه ضاربًا عرض الحائط بكل تحذيرات الأطباء، دلف إلى شبكة التواصل الاجتماعي ممارسًا هوايته في الكتابة الأدبية التي يعشقها، سرقه الوقت حتى أظلمت الصورة أمامه، خشي المحذور، دعك عينيه براحتيه، تحسس طريقه عائدًا إلى الفراش، وجد زوجته جالسة تبكي حزنًا عليه.

الخَرَسُ

صادفتني في الطريق، صافحتني ضاغطة على كفي فأطْرَقْتُ إلى الأرض، احتَفَظَتْ بيدي في يدها لحظات حَسَبْتُها دهرًا.

ضَغَطَتْ على أصابعي مرة أخرى وهمست وهي تنصرف: أصابعك خُلقت للعزف على القانون. نظرت إلى أصابعي المرتعشة المعلقة في الهواء، ها هي نفس الرعشة التي أصابتها الأسبوع الماضي حين كنت ومعي زوجتي في رحلة عائلية وكانت هي تجلس في المقعد السابق لمقعدنا ومعها صغيرتها الجميلة ذات العامين. ظلام الليل لا يقهره سوى الأضواء المتقطعة للسيارات القليلة المقابلة، غلب النوم زوجتي وغالبية المرافقين، وقفت الطفلة على المقعد، أدارت رأسها نحوي وابتسمت رحت ألاعبها فتتجاوب معي بحركاتها وصيحاتها، أخذتُ أعبث بأصابعي في جانبي رقبتها وهي تضحك محاولة الهروب مني. اختفت رأسها فجأة، مددت يدي في الظلام وبَحَثَتْ أصابعي عن رقبتها، رحت أعبث وأعبث دون أي ردٍّ فعل منها، أقلقني الصمت فوقفتُ ونظرتُ فإذا بأصابعي تداعب رقبة أمها المستكينة فأخرسني الخجل.

الطَّعْنَةُ

جذبتني بهدوئها وانطوائها، أثار إنكسارها عواطفي نحوها، بَذَلْتُ جهدًا كبيراً حتى أخرجها من عزلتها.
أقنعتها - أخيراً - بمصاحبتنا في الرحلة التي نَظَمْتُها للزملاء لقضاء يوم العطلة في حديقة الحيوان. تمتعنا كثيراً ببرنامج الرحلة حتى جاءت فقرة الألعاب والمسابقات التي سهرت لإعدادها حتى صباح يوم الرحلة. التفَّ حولنا جمهور غفير من رواد الحديقة يصفقون ويهللون لنا. أعْلَنْتُ عن لعبة تنفيذ الأوامر التي يختار فيها مَنْ عليه الدور إحدى الأوراق المطوية ويسلمها لي فأقرأ بصوت مرتفع الأمر المضحك المكتوب فيها وأطلب منه تنفيذه فوراً وسط تصفيق المشاهدين. جاء الدور عليها فتقدمت بخجلها المعهود، اختارت ورقة وسلمتها ليّ، قَرَأتُها بصوت جهوري آمرٍ: اقفزي على رجلك اليمنى عشر قفزات، نبهني صمت ووجوم الحاضرين الفجائيان إلى فعلتي الشنعاء، تمنيت لو فُتحت الأرض فاها وابتلعتني؛ كانت رجلها اليمنى مصابة بشلل الاطفال.

الهدية

يسير وحيدًا على شاطئ البحر الخالي من المارة، الجو شديد البرودة عكس أعماقه الملتهبة.
يسيطر عليه الإحساس المعتاد بالاكتئاب في مثل هذه الليلة، تضغط الأوجاع على صدره اطنانًا من صخور سوداء تكاد تكتم أنفاسه ولا تسقط عادة إلا بعد مرور اللحظات المقيتة هذه بين العامين، يعلم جيدًا أنه يختلف عن كل البشر. يحتفل الجميع -سواه-بسعادة في هذه الليلة بنهاية

عام مضى وبداية عام آت، يشتركون في الفرحة ويتبادلون الهدايا. نَظمٌ واهمٌ وضعه البشر فبم احتفالهم؟! ولم سعادتهم؟!. داخله إلحاح قوي إلى البكاء. يتنبه على صوت صراخ لرضيع، بحث عن مصدر الصوت؛ ها هو مولود حديث وُضِعَ داخل حقيبة تُرِكَت على أحد مقاعد الشاطئ، تلفت حوله فلم يجد أحدًا، دوَّى صراخه محطمًا سكون الليل: يا ناس ... يا بشر ... يا خلق الله.

الدُّمْيَةُ

العاصفة الثلجية تهاجمهم بوحشية، تمزق بقايا
خيمتهم، تسقط ثلوجها بلا رحمة فوق رؤوسهم وأجسادهم التي تعجز خرقهم وأغطيتهم البالية عن حمايتها.

تكوَّروا على بعضهم التماسًا للدفء، لم تعد أمهم المرتعشة بردًا وجوعاً وخوفًا قادرة على ضمِّهم لحمايتها وأخوتها الصغار، فقدت أحضانها رصيدها من الدفء، تجمد البكاء والدموع في مآقيهم، يتصارع الجوع داخلهم مع البرد خارجهم في محاولة الفتك بهم، هربوا من النار والتدمير والقتل ليهاجمهم الثلج والزمهرير والموت. اختطفت الرياح القوية الباردة دميتها التي حملتها معها عند هروبهم من دفء الوطن، ألقت بها خارج الخيمة، جمدت الصغيرة فلم تقو على الحركة لإنقاذ دميتها، تدحرجت الدمية على الأرض المغطاة بالثلج، تساقطت عليها ثلوج كثيفة، نظرت إليها بحسرة وهي تُدفن تحت الثلوج البيضاء، تساقط جفنا الصغيرة على فراق وحزن وعينين متجمدتين.

مسطح الثلج

شرد الصبي مع أفكاره وهو ينظر إلى الثلوج المتساقطة من الفتحة التي نتجت عن تمزيق العواصف الثلجية لخيمتهم البالية، يقولون إن الليلة هي رأس السنة.

ها هو مسطح الثلج - على امتداد البصر-مهيأ تمامًا لقدوم الزحّافة التي تقل (بابا نويل)، ولكن أين الشجرة التي ينثرون عليها الثلوج الصناعية والهدايا والأنوار داخل الشقق المغلقة ؟! يبدو أنها لجأت إلى مكان أخر أكثر أمنًا ودفئًا. المهم هو أن يحضر ومعه الهدايا، ليته يأتي بطعام ساخن وثياب ثقيلة وغطاء ودواء للسعال الذي يفتت صدره. وضع الصبي جوالًا فارغًا بجوار رأسه ليملأه (بابا نويل) بالهدايا، نام وهو يُمني نفسه بآمال كبار. أيقظه صباحًا هجوم عاصفة ثلجية قوية أطاحت بعيدًا -فوق مسطح الثلج - بالخيمة وبجواله الفارغ.

المجهول

الخضرة ساحرة وخرير ماء الجدول يدغدغ الحواس، بطل الرواية السينمائية يحتضن يد حبيبته بحنان دافئ، عيناه تسبحان في عينيها، يهمس إليها منتزعًا الكلمات من أعماقه: أحبك .... أحبك.

مئات من الرواد تشدُّهم احداث الرواية العاطفية العالمية، هو الوحيد خارج الإطار؛ مشغول بهَمٍّ كبير؛ يفصل بين خيال الرواية المعروضة وحقيقة الواقع المرير، هو متوكد من أن وراء كل واحد من الحاضرين رواية أليمة خاصة هو بطلها، عيناه حائرتان بين أشخاص الرواية وشخوص الرواد، يحاول أن يبادل الأماكن فيما بينهم، يريد الغوص في أعماق الرؤوس.... كل الرؤوس.

في لحظة واحدة مفاجئة انفجر الحاضرون مندفعين في إتجاه أبواب القاعة، سيول مجنونة تتدافع للهروب بحياتها، دهست الأقدام الأطفال والمسنين، تعالت الصرخات والصيحات، اندفع بتلقائية مع الجموع المندفعة الهاربة فزعًا.

قُطع العرض وأضاءت الدار أنوارها لتدخل السكينة في النفوس وتنقذ الساقطين، الجميع ينظرون إلى بعضهم في نظرات جزعة وهم يتساءلون في كلمات مختنقة في الحلوق: ماذا جرى؟! هل هو زلزال أم قنبلة أم حريق أم ماس كهربائي أم ماذا؟!، لم يعرف الحقيقة أحد سواه.

البديل

هاجرت الحمير من البلدة إلى بلدة اخرى تعترف بحقوقهم، اكتظّت العربة بالركاب والبضائع ولم تجد من يجرها.

اختار الركاب أكثرهم ذكاءً وحكموا عليه بإجماع الآراء أن يجر العربة. الحمل ثقيل والطريق وعر وطويل؛ أضناه التعب، هزل جسمه، تعثّر، سقط عدة مرات وأقاموه، ألهبوه بالسياط، جُرِحَ ظهره، نزف شديدًا، سقط أخيراً ولم يقم، استيقظ أحد الركاب من سباته العميق، تذكر أنه كان عضواً في جمعية الرفق بالحيوان، أخذه إلى إحدى المستشفيات التي كانت تابعة للجمعية، رفضوا قبوله لآنه ليس حمارًا وليس معه أوراقًا تثبت تحوّله إلى حمار، أعاده ليجر العربة بقوة السياط وعاد هو إلى سباته العميق فوقها.

الزَّيْفُ

ها هو موكب (الكبير) قادم ليفتتح ميدان البلدة الرئيس بعد تطويره، يراقب هو الميدان من بعيد بعد قيام حاكم البلدة بعزله من وظيفته واتِّهامه بالرجعية والتخلف.

كان قد رفض تنفيذ أوامره بالعجلة في غرس الأشجار والنباتات مباشرة على (أسفلت) أرض الميدان بعد تغطيته بطبقة رقيقة من التربة، اتهمه زملاؤه بالجنون لرفضه تنفيذ أوامر الحاكم المقدسة وتصميمه على إزالة طبقة (الأسفلت) وما تحتها أولًا حتى تتم الزراعة في الأرض العميقة الصالحة.

تطلع إلى الحاكم وثُلَّته يقفون في مدخل الميدان ينحنون للكبير عند وصوله، رآهم و(الكبير) أشجارًا قزمة زائفة لا أصل لها ولا عمق، ما أن دخل الجميع إلى أرض الميدان حتى هبّت ريح شديدة أطاحت بأشجار الميدان وكل الأشجار القزمة.

ندوب

فتح المذياع الذي لم تستطع كل التطورات الحديثة أن تفسد علاقته به، إنها المحطة عينها التي ينفرد بسماعها.

ها هو العندليب الأسمر يشدو: (خلَّيك بعيد ... خلَّيه سعيد)، طارت به كلمات الأغنية إلى فضاء لا نهائي من الشجن، تتصاعد من طيات روحه سحابات ذكرى الزمن الجميل، حملته إلى الماضي، ألقت به فى أحضان أجمل لحظات العمر القابعة فى أعماق النفس والوجدان، ها هي حبيبة العمر تحضر له نوتتها الكبيرة ليسجل بياناته واهتماماته الشخصية، وصل إلى تحديد الأغنية المفضلة لديه؛ كتب: (خلَّيك بعيد)، قالت له: اسمها (يا قلبي خبّي). قال وهو يتنهد بعمق: أنا أحب أن أسميها (خلَّيك بعيد)، لحظتها لم تكن تدرك أنه قد قرأ الزمن.

جفاء

أسقط رأسه على صدره وهو جالس أمام التلفاز، سمع وقع خطوات زوجته وهي قادمة لتخبره بغضب أن مائدة العشاء قد أُعِدَتْ.

سخرت من نومه المفاجئ، نادت عليه بعصبية فلم يرد، راحت بقسوة تحرك رأسه يمينًا ويسارًا، صفعته على وجهه، جرت إلى باب الشقة وفتحته، دوَّت صرخاتها في أرجاء العمارة، امتلأت الشقة بالسكان الذين أصابتهم الصدمة، استدعوا الطبيب القاطن في الطابق الأعلى، فحصه وطمأنهم بأنه حيّ، عمل الطبيب الإسعافات اللازمة له حتى عاد من غيبوبته، انفضَّ الجمع وخلا المكان عليهما، أحزنه جدًا أنها عادت إلى قسوتها وغضبها ولم تبد أي حنان أو عطف نحوه، تجاهلته و راحت تعيد بضجر تجهيز العشاء،

سقطت رأسه على صدره وهو جالس أمام التلفاز فلم ولن يسمع وقع خطوات زوجته وهي قادمة لتخبره بغضب أن مائدة العشاء قد أعِدَتْ ثانية.

الصغار والعجوز

لم تدرك عقولهم الطفلة سبب هذا التغير الكبير في حياتهم؛ بين يوم وليلة وبعد مشادَّة بين الزوجتين تم تقسيم بيت العائلة الكبير إلى قسمين صغيرين لكل منهما مدخله المستقل على الشارع،

اقتسم الأخان كل ما ورثاه عن أبيهما وأمهما واعتزل كل واحد منهما مع أسرته في القسم الذي يخصه، ما لم يتقبله الصغار بسهولة وجعلهم يشعرون بالحزن الأول في حياتهم هو أوامر الكبار المشدَّدة لهم بعدم التعامل مطلقًا مع أبناء عمهم الذين تربَّوا معهم أخوة وأخوات في بيت واحد، عجز خيالهم عن تصور كيف يمكنهم ألا يلعبوا معهم أو كيف يذهبون إلى المدرسة دونهم. تعرضوا للعقاب في الكثير من المرّات حين خالفوا هذه الأوامر وحنَّت البراءة فيهم إلى أبناء عمهم. ما أدهش الصغار هو عدم اعتراف كلب العائلة العجوز بهذا التقسيم وإصراره على حراسة بيت العائلة الكبير واللعب مع الأطفال جميعهم.

حديث النفس

* كثيراً ما قالت لنفسها وهي تسحّ دموع القهر:
لا لن أهين نفسي أكثر من هذا، لن أفرض نفسي عليه ثانية؛ أطلبه بهاتفي المحمول مئات المرات وأرسل إليه عشرات الرسائل فيتجاهلني، أين كرامتي؟ أين عزة نفسي؟
* كثيراً ما قال لنفسه وهو يمسح دموع الشجن ويعتصر قلبه الألم لحظة سماعه رنّتها المميزة حين تطلبه أو تأتيه رسالتها:
لا لن أردَّ عليها، سأقاوم وأقاوم مهما عانينا، لابد وأن أصمد رغم جرحي لها وطعنات الظنون التي ستفتك بفكرها، لن أكون أنانياً فلأدعها تعيش حياتها بعيدًا في سلام.
* كثيراً ما قال الهاتف المحمول لنفسه وهو يمسح دموع التأثر والانفعال:
لا لم ولن يموت الحب الحقيقي على الأرض.

نداء

استيقظ من نومه فزعًا على صوت زوجته الجهوري، لامها على انتزاعه من حلمه الجميل.
انتابته سعادة غامرة لرؤية أهله وأقاربه الراحلين مجتمعين معًا في بيت العائلة القديم، دار خلاله كآلة تصوير ذكية تمسح المكان بدقائق تفاصيله القديمة، تسقط على الوجوه؛ تلتقط نفس الملامح التي اشتاق إليها لأبيه وأمه وأخوته وأخواته وكل أقاربه، يبتسم الجميع له فاتحين أحضانهم ويضمونه في شوق وقوة. جلس بينهم طويلًا آخذًا جرعة حنان وافية أسعدته. تذكر حياة البؤس والشقاء والجفاء التي يعيشها فحنَّت روحه إلى

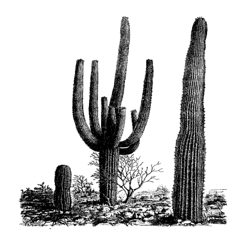
تلك الأيام الرغدة من زمن الحب الجميل. شرد فكره في تفسير ترحيبهم به واحتضانهم له بشوق وقوة؛ أصابه خدر لذيذ سرى في جسده خفيفًا من أعلى رأسه إلى أخمص قدميه فاستكان له مستسلمًا مُغمضًا عينيه في ثبات لا إرادي.

سيرة ذاتية

مجدي حشمت سعيد

- كاتب للقصة القصيرة والقصة القصيرة جدًا
- تاريخ الميلاد: ١٩٥٢/٣/١
- الموطن: مصر-سوهاج.
- المؤهل: بكالوريوس العلوم الزراعية (جامعة أسيوط) عام ١٩٧٤.
- المهنة: مدير عام البساتين بمديرية الزراعة سابقًا.
- عضو نادي الأدب بقصر الثقافة بسوهاج.
- نشر العديد من أعماله الأدبية في الصحف والمجلات الورقية المحلية والعربية.
- أصدرت له الهيئة العامة لقصور الثقافة المجموعة القصصية (للبقايا بقايا) عام ٢٠١٥/٢٠١٤
- يشارك بأعماله في مجلة أقلام التي تصدر عن نادي أدب سوهاج المركزي.
- يشارك بأعماله في العديد من المجموعات الأدبية العربية على شبكة التواصل الاجتماعي.
- نُوقشت أعماله باتحاد الكتاب لفرع جنوب الصعيد بسوهاج.
- عُرضت تجربته الأدبية بنادي الأدب بقصر ثقافة سوهاج.
- يشارك بأعماله في الندوات الدورية لأتحاد الكتاب فرع جنوب الصعيد بسوهاج ونادي الأدب بقصر الثقافة بسوهاج.
- العنوان: مصر-سوهاج-رقم (٥) شارع سلمان الفارسي جوار الضرائب العامة.
- هاتف: ٠٠٢/٠١٢٨٤٩٥٢٧٧٤

الفهرس



◀ إصدارات دار الفؤاد للنشر والتوزيع ٢٠١٦/٢٠١٧ ▶

الكتاب	النوعية	المؤلف
دقات على باب الغربة	أدب رحلات	عبد الحميد السنبسي
أزمة ثقة - ط٢	رواية	رباب فؤاد
ولادة متعسرة	مجموعة قصصية	دعاء سيف
أقرباذين	مجموعة قصصية	محمد سمير رجب
نقطة.. رجوع إلى السطر	رواية	سناء البريتي
شعب مالوش كتالوج - ط٢	كتاب ساخر	أدمنز صفحة الضاكتور
خطوة لربك	شبابـي	عبد الرحمن سعيد
التوقعات المرئية للخطوبة المصرية	رواية	رضا ربيع
زوجة مستقلة	رواية	سلافة الشرقاوي
فانتوبيا	رحلة فانتازية	إسلام علي/إلهامي مجدي
حياة خفيفة على جناح فراشة	تلوين للكبار	آلاء زهير
شمس بين الضباب	توثيقي	محمود إمام
مرايا الروح	تأملات	عبير جمال الدين
بعض منا	مجموعة قصصية	عبير جمال الدين
ناريسا	رواية	ميرفت البلتاجي
اتفضل في الصالون	رواية	محمد محسن
وراء الحواس	شبه رواية	ياسين أحمد سعيد
مدينة العذارى	مجموعة قصصية	إسلام الحادي
الخطية	رواية	إيهاب ماهر
حور	رواية	طاهر مصطفى أحمد
صندوق رسائل	رواية	وليد نبيه


دار
الفؤاد
للنشر والتوزيع